الجزء الثالث — الجامعة — السنة الخامسة

مجلة اجتماعية علمية تهذيبية تاريخية

نيويورك — اول آب (اغسطس) سنة ١٩٠٦ — ١١ جمادى الثاني سنة ١٣٢٤

التفاضل والمساواة بين الناس

الحق والبطل فيهما

في الاجتماع ٠ والشريعة ٠ والدستور ٠ والاقتصاد

بقلم جناب نقولا افندي حداد الصيدلي القانوني

﴿ حاشية من المجلة ﴾ يعرف قراء اللغة العربية حضرة مؤلف هذه الرسالة من عدة كتب وروايات نشرها في السنوات الاخيرة٠ وهو احد كتاب معدودين في مصر والشام وقد نال جائزة كبرى في هذا العام في موضوع من اهم المواضيع تقدم للكتابة فيه اكثر من عشرين كاتباً مجيداً من كتاب مصر والشام٠ وقد كتب الموضوع المفيد التالي لقراء الجامعة واثبت فيه جميع الادلة على وجهيه

السلبي والايجابي ولم يرجح وجهاً على وجه لان هذا الموضوع ما زال من مشكلات العلم والفلسفة في العالم. والمواضيع التي ذكر فيها ارجحية وجه على وجه ذيلناها بشروح وجيزة من المجلة لتتم الفائدة بها ويقف القارىء على حقيقة هذا الموضوع الجليل

——

تساوي الافراد في الحقوق والواجبات مسألة يعبأ بها الناس كلما ترقت عقولهم واتسعت معارفهم اذ يتنبهون الى التفاوت البين بين الاشخاص في الجاه والسلطة والثروة ويتساءلون ما سببه وهل هو عدل وحق؟ فالاقوياء الممتازون يزعمون انه حق بحجة ان التفاوت الذي بين الافراد والامم في تلك الامور مناسب لتفاوتهم في القوى العقلية والجسدية والادبية. والضعفاء المحرومون امتيازات اولئك يزعمون انه استبداد وظلم وغبن لان الناس مشتركون في الحقوق والواجبات ومتساوون بها اشتراكهم واستواءهم في الانسانية وانه لا ميزة لانسان على انسان وانما يمتاز الانسان عن الحيوان لان بينهما فرقاً جلياً

في كل فصل من فصول التاريخ شواهد على التناقش والتخاصم والتقاتل لاجل المساواة. الاقوياء المتمايزون ينكرونها ويجاهدون في القضاء عليها والضعفاء الوضعاء يؤيدونها ويقاتلون في سبيل تعميمها. وما تغلب فريق الا تطرّف وغالى في تقويم جانبه لان مبدأ التنازع يقضي بتبليغ نتيجة الارجحية كما لو كان فريقان يتجاذبان طرفي حبل فاذا رجح احد الجانبين قليلاً جذب الجانب الآخر كله اليه. او كما لو علقت ثقلين في طرفي حبل ملتف على بكرة فاذا رجح احدهما على الآخر ولو درهماً هبط الراجح الى اسفل وارتفع المرجوح الى البكرة مع ان الفرق بينهما زهيد جداً لا يعادل هذه النتيجة للارجحية

فتساوي الناس المطلق غير ممكن وغير عادل(١) اما انه غير ممكن فلانه مخالف للطبيعة التي لا استواء بين اجزائها ففي كل امر منها يوجد الراجح والمرجوح والافضل والاردأ. واما انه غير عادل فلان الاشخاص يتفاوتون تفاوتاً بيناً في عقولهم وهممهم واخلاقهم وآدابهم وسائر قواهم ومزاياهم وان كانوا متساوين في الانسانية ومتشابهين في الهيئة والتركيب

---

(١) هذا في الاقتصاد والمواهب العقلية ولكن مبدأ الديموقراطية يقضي بالمساواة في الاجتماع والشريعة والدستور

العضوي. فلا بد اذاً من التساوي في امور والتمايز في امور على شرط ان تعتدل النسبة بين مزايا الناس واهليتهم

على انه ليس من السهل وزن هذه النسبة او مقايستها بحيث تكون عادلة لانه قد يتراءى لنا ان تمايز النبلاء على العامة في بلاد الانكليز مثلاً غبن اذ لا افضلية حقيقية للنبيل على العامي مخولة ذلك الامتياز عليه. ولكن اذا انعمنا النظر في سبب هذا الامتياز من جهة وفي نتيجته من جهة اخرى وجدنا ان احقيته ليست في تكافوء النبيل والعامي في الاهلية والاستحقاق فقط بل في الفائدة التي تنجم عنه وهي حفظ مجد المملكة وصيانتها (١) كما سيأتي بيانه في محله من هذه المقالة

وكذلك اذا دققنا في تعليل الامتيازات التي للانكليزي على المصري او للابيض على الاسود في اميركا او للبويري (لعهد الجمهورية البويرية) على الوطني في جنوب افريقيا وجدنا انها غير مسببة عن التفاوت في عقول تلك الامم وقواها فقط بل عن الاضطرار الى صيانة الامة الواحدة من عدوان الاخرى بتأييد تلك الامتيازات كما سيتضح في ما يلي

١
التفاضل الاجتماعي

يستفاد مما سبق ان الناس يجب ان يتفاضلوا في كثير من الامور ولا سيما الامور الاجتماعية والاقتصادية بقدر تفاضلهم في مزاياهم الشخصية. وطبيعة الحال تقضي على الافراد ان يسلموا بهذا التفاضل لان لذي المواهب والمزايا الكثيرة قوة يسود بها على من كان قليلها وهذا من نفسه يخضع لذلك تارة لحاجته واخرى لخوفه من سطوته

فالفقير يجلّ قدر الغني ويعظمه لكي يشفقه عليه ويستجديه ويجانب اذاه. وهذا يتغطرس عليه لانه في غنى عنه ولشعوره انه يقدر على التحكم فيه. والجاهل يجلّ العالم لانه يحتاج الى رأيه وهذا يتعالى عليه. والصعلوك يتقرَّب من النسيب عريض الجاه ويجتهد ان ينتمي اليه لكي يستقوي به. وهكذا كل ضعيف يتزلف الى قوي لكي يستنصره ويستأمنه على نفسه والقوي يشمخ ويعتزّ. وعلى هذا النحو يستقوي الغني والنسيب والحكيم ويتسع

---

(١) الا اذا ألف النبلاء في وسط المملكة طبقة ممتازة يصرفون امتيازهم فيها الى نفع انفسهم واستخدام شرائع البلاد آلة لاغراضهم ومنع سن الشرائع التي تفيد الشعب وتنهض به كما هي الحال اليوم في روسيا مثلاً في منتهى شدته

نفوذه و يعرض جاهه بالذين يتقرَّبون اليه و يجلونه و يعظمونه لدفع مغرم او لجرّ مغنم. وعلى هذا الاسلوب ينشأُ التفاضل بين الافراد والامم وتنتفي المساواة المطلقة و يظهر الناس رتباً ودرجات و يضطرون ان يسلموا لكل منهم بالدرجة التي وضع نفسه فيها وقدر ان يبرهن على استحقاقه لها. وذلك هو منشأُ الرتب والالقاب والاوسمة ونحوها مما جُعل للدلالة على مكانة صاحبه في الهيئة الاجتماعية

وهب ان السواد الاعظم من الشعب قام يطلب المساواة و يقاتل مبدأَ التفاضل ونجح في جعل الافراد كلهم في درجة واحدة في القيمة والجاه والنفوذ فلا ينقضي رده من الزمان حتى يعود ذلك التفاضل لان الاقدر يجتذب اليه جانباً من الضعفاء الذين يستنصرون بقدرته وهم يرفعون مقامه و يردونه الى المرتبة التي أُنزل عنها . وهب ان امرًا من الامور نقض حال الناس الحاضر وجعلهم في حال جديد متساوين لا كبير فيهم ولا صغير ولا وضيع فلا يلبثون ان يتغربلوا و يتفرقوا و يتجمع افراد كل رتبة في رتبتهم

تفرَّد الاميركان في العصر الاخير بتأْييد مبدأ المساواة في معظم احوال الهيئة الاجتماعية فنبذوا الالقاب والرتب والنشانات والملابس الرسمية ونحو ذلك مما يدل على التمايز والتفاضل وحظروا على كل فرد منهم ان يقبل رتبة او نشانًا من حاكم اجنبي ولكنهم ما لبثوا بعد حين ان شذ كثيرون منهم عن هذه القاعدة فجعلوا يتطاولون الى الرتب والالقاب ولو خسروا جنسيتهم. فالفتاة الغنية تبذل مالها لكي تتزوج من نبيل اوروبي لورد او بارون او نحوها لكي تتلقب بلقبه. و بعض الشبان المثرين يفعلون كذلك لكي يزوجوا انفسهم بين الامرات النبيلة و بعضهم يبتاعون الالقاب بالدنانير ابتياعاً . ومع ان قانون الجنسية الاميركية ينكر القاب الشرف فلا يسعه ان ينكر الالقاب العلمية مثل دكتور فلسفة وغيره كأَنه من لزوميات الاجتماع البشري ان تقوم الدلائل الحسية على تمايز الناس في مواهبهم وقواهم

ترى ان الاكابر يقيمون لانفسهم اندية خصوصية لا يؤْذنون لغيرهم من الوضعاء ان يدخلوها. لماذا ؟ يظهر لاول وهلة ان الغرض من ذلك الا يختلطوا بفئة الاسافل او الهمج ولكن تراهم لا يستثنون وضيعاً من هذا النبذ ولو كان مثال الادب والذكاء والذوق ولا يرفضون الرفيع ولو كان قارورة سفه و بذاء فالحقيقة اذًا ان المراد من هذا الاختصاص انما هو التمايز العلني والمباهاة بالجاه والغنى والنفوذ. وعلى هذا النحو ولمثل هذا الغرض تقام مدارس خاصة بابناء الاعيان. ومن ذلك ان شركات السكك الحديدية المتسابقة في جهة واحدة في

اوروبا تتنافس في ارضاء الركاب بمثل هذا التخصيص كأن تمنع الطبقة السفلى من الركوب في الدرجة الاولى ولو دفع الراكب ضعفي الاجرة(١)

وليست المباهاة بالجاه او حب التمايز امرًا قليل الاهمية في الهيئة الاجتماعية بل ان كل فرد فيها يبذل الغالي فضلاً عن الرخيص لمطاولة من هم اعلى منه. الا تراهم يشترون الرتب والالقاب والنشانات المدنية شراء. لا يفعلون ذلك في مصر فقط بل في اكثر ممالك اوروبا ومن ذلك اننا نرى الناس يتنافسون في مظاهرهم حتى انهم يكلفون انفسهم اكثر من طاقتها في اللبس والفرش ونحو ذلك

بقي ان ننظر في عدالة هذا التفاضل وفي فائدته. اما من حيث عدالته فلا ريب انه عدل اذا كان جاريًا على قاعدة قويمة طاهرة من المحاباة والرئاء والشذوذ. فان لذي المزية حقًا بان يتميز على سواه لانه يبذل في الاجتماع البشري قوة اكثر من سواه فيجب ان يكافأ على هذه القوة بقدرها. واذا تساوى الناس في القيمة مع تفاوتهم في القوى او المزايا فقدوا مزاياهم حالاً لانها عديمة الجدوى لهم

على ان التفاضل غير جار على قاعدة قويمة في كل بلاد واكثر قواعده اختلالاً ما كانت في الشرق فانه محصور فيها بذوي القوة المالية وبالنسب ومنتفٍ من اهل الذكاء والمعرفة والآداب فقد ترى العالم الفاضل المستقيم غفلاً من اعتبار الناس واكرامهم. وللمثري الشرير مكرمًا. وما هي الحال كذلك في البلاد الغربية الراقية. ففي انكلترا أُكرم سبنسر اكرام الامراء وفي فرنسا أُكرم هيجو كذلك واما في مصر فما قليل ينسى اسم الشيخ محمد عبده وفي سوريا تنوسي اسم البستاني واليازجي

وفي انكلترا انتحر الكولونل مكدونلد (انتحر في باريس) منذ ٣ سنين لانه أُسقط من مقامه في الهيئة الاجتماعية بسبب تهمة دنيئة وفي مصر ترى الباشا فلان وهو يتلطخ بلطخ الدنس لا يزال الناس يكرمونه ويطأطئون امامه. والمثري فلان وهو ينهب الفقراء ويسلب الارامل واليتامى يتسابق الناس بالثناء عليه وباعلان فضلهِ. والنسيب الحسيب فلان وهو اجهل من هبنقه يتبرَّك الناس به ويقبلون الارض بين يديه. وسبب هذا الخلل اي المراآة من جهة والغبن من جهة اخرى انما هو الضعف والجهل العامان في البلاد

---

(١) ظاهر من سياق الكلام ان الكاتب لا يقرر هذه المبادىء ولا يدعو اليها ولكنه يذكرها كما يراها في العالم. فهو ينشر هنا ما كان لا ما يجب ان يكون

اما من حيث فائدة التفاضل فلا يخفى ان اعلان مزايا المتمايزين والاقرار بها او وضعهم في مكانتهم يثير روح التنافس في الناس ٠ وعلى التنافس يقوم عمران البلاد٠ ثم ان التمايز يقي الكرماء من شرور اللؤماء والمتمدنين من غلاظة الهمج الى غير ذلك مما يستقر به اللبيب بنفسه

ثم ان الفائدة الجلى من هذا التمايز غربلة الناس وتصفيتهم بحيث تنتقى طبقة الاشراف من الوضعاء وفئة الكرماء من اللؤماء واهل العلم من الجهلة ولا تسهل خديعة الافراد بعضهم لبعض

وفي هذه الحالة يضطر كل فرد ان يرقي عقله ونفسه وآدابه ويهتم بانماء ثروته وتعريض جاهه لكي يحرز الاهلية للمكانة التي يطمح اليها ويتبوأها باستحقاق ولا يتمتع بشرف او مجد او رفعة من غير ان يبذل في العمران القوة التي بذلها سواه ممن احرزوا مقاماتهم التي يحسدهم عليها ويطاولهم فيها

رسالة السيدات من الاسكندرية

بقلم المدموازيل (روزا انطون) صاحبة مجلة السيدات

حاشية — كما ان صاحب الجامعة قد وعد قبل سفره من مصر مجلة السيدات ان يبعث اليها برسائل مفيدة في المدنية الاميركية واحوال سيدات نيويورك والولايات المتحدة السوريات كذلك وعدت شقيقته صاحبة (مجلة السيدات) بالاسكندرية ان تبعث الى الجامعة برسائل لطيفة في اجتماعات السيدات الاسكندريات واخبارهن الاجتماعية اللذيذة وهذه اولى تلك الرسائل

حدثتني احدى الصديقات الحديث التالي وقد التقطته من مجلس خصوصي ضمَّ بعض السيدات قالت :

زرت امس صديقة في الاسكندرية فوجدت جمعيتنا ناقصة بسبب سفر كثيرات الى مصايفهن فقلت لم يبقَ غيرنا من جمعيتنا يحتمل حرّ هذا الصيف٠

ثم التفت الى سيدة أعتادت ان تصطاف كل سنة وقلت :ـ لماذا لم تذهبي يامدام في هذه السنة خلافاً لعادتك · فاجابت :ـ ان ابنتي مخطوبة ونحن نهتم الآن بالجهاز · فقلت :ـ لم اسمع هذا الخبر المفرح من قبل · والتفت الى الفتاة المخطوبة وقلت لها : «مبروك يامدموازيل» فنظرت وجهها مقطباً وعينيها تغرورقان بالدموع فاستغربت حتى لاحظت امها استغرابي ولكنها اغضت عنه

و بعد انصرافهما سالت عن سر المسالة فقيل لي ان الفتاة غير راضية بخطبتها مع ان خطيبها لا ينقصه الا ان يكون اوروبياً كما تريد هي فكانت تقول انها لا تقترن الا باوروبي على ان اهلها يابون ذلك فوقع النزاع بينها و بينهم مدة ثم انتهى بخطبتها بالرغم منها · فقالت احداهن :ـ و باي حق يجبرها اهلها على زواج من لا تريده · كان الاولى ان لا يخطبوها لاحد اذا لم يسمحوا لها ان تخطب من تريد فاجابتها ثانية :ـ ولو سمحوا لها بمن تريد لكنا نقول ايضاً انهم غلطوا اذ لم يمنعوها عن زواج غير موافق · ولو رفضوا ما ترغبه كما رفضت ما يرغبون و بقيت بلا زواج لقلنا الى متى تنتظر · وحاصل القول لا يخلص احد من سهام السنتنا الحادة ولا يعمل احد عملاً مهما كان نوعه الا قلنا انه اخطأ من الوجه الفلاني بالامر الفلاني ولا نجلس في جمعية الا ونسمع كلاماً على فلانة وحديثاً عن فلان وهذه قالت كذا وتلك فعلت كذا وهلم جرا

فقالت صاحبة البيت :ـ اعملي معروف اخفضي صوتك لئلا يسمعك زوجي الآن فانه يمقت الاحاديث عن الناس واخبارهن · والكلام بسرك ان مدام فلان ذهبت من عندنا مستاءة لانه انبها حين كانت تقص علينا قصة عروس الاسكندرية وملكة اسبانيا العروس

فسألتها عن هذه القصة فاجابت: تقول حضرتها انه في يوم زفاف ملكة اسبانيا وفي الساعة نفسها اتفق انه كان زفاف المدموازيل ا٠ في الاسكندرية فحين سمعت عروس الاسكندرية بحادثة القنبلة التي رماهــا الفوضوي تأثرت لهذا الحادث فارسلت تلغرافاً للملكة تهنئها بالنجاة فارسلت الملكة تلغرافاً تقول فيه اشكرك واحسدك فانك كنت بالحقيقة ملكة حينما كنت اتمنى ان اكون كاحدى الفقيرات٠ فقلت عرفت ناقلة هذا الخبر اما هي فلانة٠ فقالت نعم

فقلت ان هذه السيدة مشهورة بنقل الاخبار و باختلاق قصص غريبة مدهشة فتريها تفرُّ من محل الى آخر وتحرك الجميع بلسانها ولا يهنأُ لها عيش الا حين ترمي شرًّا بين اثنين وقد سماها البعض «بام الاخبار والحركات» والجميع يخافونها ويهابونها كأنها عزرائيل٠ ومع ذلك فانها محبوبة ودمها خفيف لا يستاء منها احد بالرغم من طول لسانها وحينما كنا نتحدث عنها دخلت فقلنا: «اذكروا الذئب٠٠٠» فانا كنا نذكرك الآن فقالت اعترفوا بالحقيقة ماذا كنتم تتحدثون عني فقلت كنا نقول الذي فيك قلنا انك محبوبة ودمك خفيف فضحكت وجلست فسألتها ربة البيت ما عندكِ من الاخبار اليوم فاجابت الاخبار عندكم فقد بلغنا انه كان عند جيرانكم امس جمعية بوكر وخسرت مدام فلان البوكرية الشهيرة قيمة عشرة جنيهات و رفيقتها مدام فلان ثمانية والاخرى التي تدعي انها لا تحب اللعب ١٢ جنيهاً٠ و يقولون ان الخسارة كلها بلغت ٧٠ جنيهاً

فقلت من العجيب ان يكون هذا في بيت فلان وهو يكره البوكر ويمنع زوجته من اللعب فاجابت «ام الاخبار» وهل علمت ماذا جرى بعد هذه اللعبة فانه حدث بينه و بين زوجته خصام حتى وصل صراخهما الينا واظنهما سيبقيان متخاصمين حتى

نترك المدام لعب البوكر ولا اظن حضرتها نتركه اذا لم تنجح مساعي تلك الجمعية القائمة الآن لمحاربة البوكر. اما هذه الجمعية فمؤلفة من السيدات الغنيات الكارهات للبوكر يعضدهن ازواج السيدات اللعيبات و يجتمعن كل يوم للتفكر وتدبير وسائل لمنع اللعب. وقد بلغني ان بعض الجرائد تساعد هذه الجمعية بهذا الامر لان اضرار البوكر اصبحت كثيرة وهو ينتشر كل يوم بعد يوم

فقلت ياليت نبوءة «ام اخبار» تتم فكم قد كتبت الجرائد وكم احتمل البوكر من الاضطهادات وكم نكد عيش عائلات. وافنى قوى سيدات وهو لم يزل معززاً محترماً وويل لمن يذكره امام نصيراته بغير المديح والثناء. فقالت احداهن وكانت من اللعيبات: وما هي اضرار البوكر وما هي خسائره فانها لا شيء يذكر. فاجبتها حين نتكلم عن اضرار البوكر لا نقصد السيدات الغنيات اللواتي لا تهمهن اكبر خسارة فانا نعلم جيداً انك لو خسرت ١٠٠ جنيه مثلاً لما همتك فالسيدات الغنيات محلل لهن كل شيء... واذا كان ازواجهن لا يرضون بذلك فان لهن مالاً خاصاً ينفقن منه... وقد قالت احدى السيدات حين كان ينهاها زوجها عن لعب البوكر «حتى الآن لم اصرف من مالك ولا مليماً واحداً فان كل خسارتي من دوطتي وغيرها ومتى خسرت كل ما عندي احوّل على ابي بالمبلغ وليس عليك فماذا يهمك ان لعبت»

فعن امثال هذه السيدة لا نتكلم لانهن اعلى من ان يصبن باسهم اللوم... وهن بمعزل عن التنكيت والتانيب... وكل ما يفعلنه يعد جائزاً ولا قوة على الارض يمكنها ان ترجعهن عن انفاذ ارادتهن و بقدر غناهن تعظم ارادتهن وويل لمن يغضبهن

ولكن حين نذكر اضرار البوكر نقصد هؤلاء السيدات اللواتي ينتظمن في سلك

جمعية البوكر تشبهاً بالغنيات ولقصد ان تُضم اسماؤهن لجمعية الاكابر لظنهن انهن يزددن رفعة · وقد سمعت احدى هولاء تقول لرفيقتها وهما يتعاتبان انظري واعلمي انني اجلس انا واغنى واشرف السيدات على طاولة البوكر ولا تجتمع جمعية بدوني · وبهذا الغرور تضطر السيدة من اولئك ان تقتر على نفسها واولادها وتخاصم زوجها وتهجر بنيها رغبة في مجاراة الغنيات في البوكر

وقد سمعت عن سيدة اعرفها جيداً طلبت من زوجها ١٠ جنيهات لتشتري فسطاناً للصيف فتردد زوجها لخلو يديه من المال وبعد الجدال ضيق على نفسه واعطاها المبلغ فلعبت به على ان تربح فخسرته كله فطلبت ثمن الفسطان من زوجها ثانية فلم يعطها فانحبست عن الاجتماعات لعدم وجود فسطان يليق ان تقابل به البوكريات · فاستفادت هذه السيدة من خسارتها فائدة تذكر · وعسى ان تستفيد بقية السيدات مثل هذه الفائدة

فلسطين واشهر بلدانها

بقلم جناب نجيب افندي نصار في طبريا

سباسطيــة

عاصمة عظيمة قديمة

هي المدينة العظمى التي أُنشئت من العدم وصارت دفعة واحدة في عداد عواصم الملوك · فقد انتقى موقعها الملك عمري في سنة ٩٢٤ قبل المسيح دون نابلوس التي وان كانت بهجة الملوك ومرتع الكبراء برياضها الغناء ومياهها الصافية الغزيرة ومطمح انظار الامة بخيراتها الوافرة ومركز آمالها بما جرى فيها وحواليها من الحوادث التاريخية والدينية لم تكن حصناً يرتاح فيه قلب الملك وتطمئن قلوب الرعايا من هجمات الاعادي التي كانت متواترة في تلك الازمان · ودون (ترصة) ايضاً التي كانت في معزل عن الشعب الفينيقي المتمدن

الذي كان في اغلب الاحيان حليفاً لاسرائيليي الشمال. اما موقع هذه المدينة فهو تل اعزل يعلو اكثر من ثلثمائة قدم عما حواليه من الاودية والسهول اشتراه الملك المذكور من رجل يدعى شامار وبني قصره والمدينة عليه ودعاه (سامرة) على وزن بائعه . وقال آخرون ان كلمة سامرة العبرانية تعني (المرصاد) والجبل يشرف على الجبال التي تقابله من الجهات الثلاث ومن الجهة الغربية على السهل والبحر المتوسط فضلاً عن كونه على الطريق الممتدة من الشمال والجنوب وهي طريق الآراميين والاشوريين والمصريين السهلة الى السامرة. وقد تقلصت عظمة تلك العاصمة (سباسطية) حتى صارت اليوم قرية صغيرة يسكنها قوم قلائل من الفلاحين في بيوت صغيرة حقيرة. اما اخاب ابن عمري فبنى فيها هيكلاً لبعل اله امراته ابنة ملك الصيدونيين . وفي سنة ٩٠١ قبل المسيح حاصرها بنهدد بجيوش الاراميين فعاد عنها خاسراً فعاودوا الكرة عليها في السنة التالية ولم ينجحوا . ثم استأنفوا محاصرتها بعد ذلك بخمس عشرة سنة وبعد ان ضيقوا عليها الحصار حتى اشتدت فيها المجاعة وعمَّ الويل اهلها انهزموا عنها راجعين. وقد كانت مظهراً لاعمال النبيين ايليا واليشع فيما يتعلق بالمجاعات (ملوك اول ١٧ و١٨ وملوك ثاني ٦ من العدد الرابع والعشرين الى نهاية الاصحاح السابع) وقدتنبأ عنها النبيان اشعيا (٩:٨ـ٢١) وارميا (١٣:٢٣) وفي سنة ٧٢٤ قبل المسيح زحف عليها شلمناصر ملك اشور بجيش جرار ولكنه لم يرَ في مهاجمتها سبيلاً للنجاح فاقام عليها الحصار مدة ثلاث سنوات متوالية اضطر اهلها في نهايتها الى التسليم من جراء ما قاسوه من الضيق الشديد والجوع الاليم فساقهم وجميع سكان المملكة ماعدا العجزة والمساكين الى بلاده وراء الفرات وجاء بقوم آخرين وهم الذين صاروا فيما بعد يدعون «سمرة» واسكنهم في البلاد . ومنذ ذلك الوقت عادت نابلوس فصارت تربو عليها واخذت تسترد منها مجدها الذي سلبه الملك عمري. ثم وقعت في ايدي الاسكندر الكبير فاسكن مكدونيين بين اهلها لاضعاف قوتهم. وفي ايام المكابيين اساء سكانها معاملة احدى المستعمرات اليهودية فغضب هركانوس المكابي وجاءها بجيش وحفر حولها الخنادق وبنى سوراً واقام عليها الحصار فلقي مقاومات شديدة ومتاعب كبرى مدة سنة غير ان نفاد المؤن واليأس من النجاة اضطر اهلها الى فتح ابوابها والتسليم فدكَّ هركانوس وابناه حصونها واسوارها وجميع ابنيتها ولم يبقوا فيها للعمران اثراً (اخبار يوسيفوس كتاب ١٣ فصل ١٠ قطعة ٢ و٣) ويستدلُّ من عدم تمكن اعدائها منها بغير الحصار ان موقعها كان حصيناً جداً ولذلك كانت قلوب الناس معلقة على مناعتها على الدوام في تلك الازمان الحرجة فكانوا

كلما خربت يعيدون بناءها وتحصينها. فقد ذُكرت بعد ان ضربها هركانوس وابناه بقليل بانها مدينة حصينة في ايدي اليهود وبكون بومبيوس القائد الروماني اخذها منهم واعادها لاهلها الاولين. وبعد وفاة كايوباترا وهبها اوغسطس قيصر لهيرودس الكبير الذي شاقه موقعها الحصين وُبعدها عن مراكز القوة اليهودية فاحاطها بسور منيع جدًا حصنه بالابراج القوية وخصص بها حامية من الجنود البواسل وهكذا اعدّها ليتمنع فيها عند الضرورة لانه كان على الدوام مرتابًا باخلاد اليهود الى السكينة فلم يكن يأمن من هبوبهم الى الثورة شأنهم مع الذين تقدموه. وقد بني فيها عدا ما ذكرنا هيكلاً انيقًا في مكان هيكل اخاب اقامه على اعمدة طويلة منحوتة القواعد مزينة رؤوسها بالنقوش الحفرية . وبنى على اعمدة كاعمدة الهيكل على جانب الجبل الجنوبي سوقًا يقارب طولها الميل ممتدة من الشرق الى الغرب وعرضها ١٦ قدمًا لم تزل عدة من اعمدتها واعمدة الهيكل قائمة في امكنتها شاهدة بان هيرودس هذا كان بناءً عظيماً . ويوجد عند اسفل الجبل من الجهة الشمالية عدة اعمدة على ارض مستوية يقول بعضهم انها كانت ملعبًا للخيول . وبنى لنفسه قصرًا على قمة الجبل وحصنه بالابراج ودعى المدينة بعدما فرغ من بنائها على هذه الصورة سباسط Sebaste وهي الكلمة اليونانية (لاوغسطا) فبقي اسمها الروماني عليها الى اليوم ويقول رجال الدين ان فيلبس الرسول بشر فيها وان كثيرين آمنوا بكلامه من اهلها (اعمال الرسل ٨:٥ـ٩) . وقد حولها الامبراطور سبتيميوس سفروس في بداية القرن الثالث الى مستعمرة رومانية. ولم يطل عليها المدى بعد ذلك وهي زاهية لان يوسيبيوس لا يعلق اهمية كبرى على ذكرها بخلاف جيروم ومعاصريه الذين قالوا انها منذ اوائل القرن الرابع صارت كرسي اسقفية ودخلت في ايدي المسلمين اثناء فتحهم البلاد فاستردها الصليبيون منهم وجعلوها كرسي اسقفية كاثوليكية. ولم يتغاضَ بنيامين توديلا عن ذكر مناعتها ووصف الجنائن والاشجار الكثيرة حواليها. اما فوكاس وبروكاردروس فذكرا كنيسة فوق قبر باسم يوحنا المعمدان

كنيسة يوحنا المعمدان

هي الكنيسة الصليبية القائمة على اثر كنيسة شرقية من عهد جوستينيانوس او من قبله وقد حول المسلمون القسم الذي لم يزل قائمًا منها الى جامع وهي واقعة على طرف التل الشرقي وتحتوي على مدافن يوحنا والنبيين اليشع وعوبديا كما يزعمون . غير ان يوسيفوس

في اخباره (١٨: ٥-٢) يقول ان يوحنا سُجن في ماكيروس(١) الواقعة شرقي الاردن ويوسيبيوس ينقل هذه الرواية ولا يزيد عليها شيئًا. ولكن جيروم يقول ان السامرة مشهورة بوجود مدافن يوحنا واليشع وعوبديا فيها. وقد رآتها بولا وشاهدت كيف يؤتى بالمجانين لزيارتها فينالون منها الشفاء العجيب كما قالت. ويُقال ايضًا ان الوثنيين فتحوا سنة ٣٦١ هذه المدافن واخرجوا العظام واحرقوها وذروا رمادها. اما الاعتقاد بكون هيرودس سجن يوحنا وقطع راسه هنا ايضًا فلم يقل به احد حتى القرن الثامن. ومما تقدم يمكن ان يُقال ان يوحنا سجن في ماكيروس واما جثته فدفنت في سباسطه. ويوجد على جدران الكنيسة رسوم صلبان بشعار فرسان ماري يوحنا من الصليبيين. وقد اكتشفت حديثًا في الكنيسة تماثيل اشخاص وحيوانات عديمة الاتقان. وشمالي الكنيسة بنأ مربع يظن بعضهم انه كان قلعة فرسان ماري يوحنا

دوثان

الجب الذي طُرح فيه يوسف

الحفيرة او الحفائر — استدل الكتبة من اسمها هذا الذي أُطلق عليها بسبب وجود الماء قريبًا من وجه الارض اذ يحفر الرعاة آبارًا ويبنون عليها (الجوابي) ليسقوا مواشيهم. ومن كونها غير بعيدة عن شكيم. ومن كونها ايضًا مراعي حسنة. ان رواية التوراة المذكورة في سفر التكوين (ص ٣٥ من العدد ١٧) تنطبق عليها فقالوا هي دوثان حيث طُرح يوسف في الجب وبيع من قافلة المصريين رقًا وهي تبعد نحو اثني عشر ميلاً الى الشمال من نابلوس ونحو خمسة اميال الى الجنوب الغربي من جنين

جنين

واقعة على ظرف مرج ابن عامر الجنوبي اما طريقها المستقيمة فتبعد نحو ثمانية عشر ميلاً الى الشمال بانحراف قليل الى الشرق عن نابلوس وهي قرية كبرى ومركز قائمقامية تابعة لنابلوس واهلها مسلمون وفيها نبع ماء غزير وهي عين جنيم التوراة وجينيا التي يقول يوسيفوس انها على حدود السهل الكبير في نواحي السامرة وذكرها كثيرون من كتبة العرب وقالوا ان صلاح الدين مرَّ عليه بجيوشه وقال بروكاردروس انها على الطريق بين عكا والناصرة الى نابلوس

(١) ❋ الجامعة ❋ ورنان في كتابه « تاريخ اليهود » يثبت رواية يوسيفوس

رواية ابن الشعب

(التي مثلها الشيخ سلامه في مصر في هذا العام)

بقلم صاحب الجامعة

(تابع ما قبله)

(تركنا ريشار في الجزء السابق وقد اصبح يدير ببلاغته وذكائه سياسة انكلترا كلها من منبر مجلس العموم. وقلنا ان الوزارة الانكليزية بعثت الى سكرتيره ورجله الخاص صاحب مصرف عظيم يدعى المركيز سيلفا ليتوسط لدى ريشار بان يقنعه بترك معارضة الوزارة ومجاراتها في رغائبها وفي مقابلة هذا الترك والمجاراة يمنحونه القاباً شريفة واملاكا واسعة ويزوجونه من احدى بنات النبلاء لانهم كانوا يظنونه عازباً. وقلنا ان زوجته جاني باتت تندب سوء حظها في بيت صغير مع مبراي الذي اقامه ابوها وامها قبل وفاتهما وصياً ورقيباً عليها. وذلك لان ريشار اقصاها عنه وعاش دونها في لندن تخلصاً من نفقات العائلة وانصرافاً الى السياسة لان نفسه اشتغلت بها عن كل شغل. ولم يبقَ فيها مكان للاهتمام العائلي)

٤

بعد ان تحادث المركيز سيلفا وطمسن سكرتير ريشار جاء طمسن الى ريشار وسأله الانفراد به. فاجابه ريشار وقال له لماذا طلبت ان تخلو بي هل لديك اخبار عن امرأتي. فاجاب كلا ولكن لدي اخبار عمن اصبحت اطوع لك من امراتك. فقال ومن تعني. قال الوزارة الحاضرة. فضحك ريشار وقال هل خفضوا رؤوسهم الشامخة. قال لم يخفضوها ولكنهم يمرغونها بالتراب تحت قدميك. فقال وماذا يطلبون. قال يطلبون ان تعدل عن المعارضة في عقد القرض الذي يرومون عقده لحاجتهم اليه. فاجاب ريشار بنزق: هذا محال لانني لا اخون الشعب الذي انتخبني واتخذني رجله. فاجاب طمسن: كأن فوزك قد اسكر لبك ايها السر ريشار انسيت مراتب العلى فقال ريشار وماذا اطلب اكثر مما بلغت

اليه فانني ادير الان سياسة انكلترا كلها من منبر هذا المجلس · فقال طمسن نعم ولكنك قد انفقت ثروة امراتك كلها تقريباً لان مقامك يقتضي نفقات طائلة وقدمضت على نيابتك ثلاثة اعوام وبقي ثلاثة اخرى فماذا يبقى لك بعد ان تنفق ما بقي من ثروة امراتك فيها

فاجاب ريشار : يبقى لي فقر شريف واسم منزه عن كل وصمة

فقال طمسن : ولكن الفقر والاسم لا ينصران في الانتخاب القادم وانت لا تجهل ما يقتضيه الانتخاب من المال

فقال ريشار : ان الشعب لا ينسى نصيره

فقال طمسن : الشعب قصير الذاكرة ياريشار وقد شبهوه بقلب المراة اسرعة تقلبه وهو قادر على الوضع لا على الرفع · اما مراتب العلياء فلا تنال الا بالملوك والوزراء

وما زال طمسن بريشار حتى ألان حديده فوعده ريشار بان يفكر في هذا الامر · وعلى ذلك كان وجود هذا الرجل بجانب ريشار آفة له وويلاً · وما برحت هذه وظيفة الصغار المملقين لدى اكابر الناس الذين يقرّبونهم اليهم لاستخدامهم في بعض المنافع فيؤثرون عليهم شرّ تاثير ويقودونهم الى الهاوية

ولما راى طمسن ان سيده قد لان بعض الشيء عاد الى المركيز سيلفا وساله ان يبسط له اقتراحاته فاجابه اننا لكي نكون على ثقة من دوام الوداد والصداقة بيننا وبين السر ريشار قد راينا ان نزوجه مس ويلمور فقال طمسن منحنياً باحترام حفيدة جنابكم فقال المركيز نعم فان ابنتي كارولين (١) اقترنت باللورد ويلمور فولدت منه قبل وفاته هذه الفتاة وهي وحيدتها ودخلها السنوي من املاكها مائة الف جنيه انكليزي وفوق ذلك ففي نفسي ان التمس من الملك ان يعطي الرجل الذي يقترن بابنة اللورد ويلمور لقب ابيها فيكون لورداً مثله

وكان ريشار يسمع هذا الكلام من وراء الباب فلما ذهب المركيز قال طمسن لريشار ما رأيك في ما سمعت فقرع ريشار كتف طمسن بكفه وقال له انسيت زواجي بجاني فضحك طمسن ضحكة شيطانية واجاب وانت انسيت الطلاق · — ومن هذا الحين خطر لريشار ان يذهب لمشاهدة جاني المسكينة

---

(١) يذكر القراء ان المرأة التي وضعت ريشار في الفصل الاول كانت تدعى كارولين وهي ايضاً ابنة المركيز سيلفا

. وكانت جاني في بيتها في البرية تبكي فراق ريشار على ما تقدم وكانت في ذلك اليوم تنتظر عودة مبراي الذي ارسلته الى لندن ليلين قلب ريشار عليها فلما رات مركبة ريشار تقف امام بابها جنت فرحاً وابتهاجاً. وان الست ميليا الممثلة الاولى في جوق الشيخ سلامه التي تمثل دور جاني تمثل هذا الفصل باسلوب مستحسن جداً وقلما مثلت ممثلة على الملاعب العربية عواطف هذا الفصل كما تمثله الست ميليا

فلما دخل ريشار على جاني صاحت وانطرحت بين يديه وهي تبكي فقال لها ريشار بفتور مؤلم ما بك ياجاني فصاحت جاني والدموع تخنق صوتها : يسألني ما بي . بي انني ابكي واذوب شوقاً اليك. بي انني لم ارك منذ سنة كاملة. أفهمت ما بي ؟ فقال ريشار كفكفي دموعك وهدئي روعك فاجابت جاني بصوتها الناعم الرقيق

نم اصون دموعي وانتهي عن ولوعي
فقد رجعت الى من تهواك خير رجوع
بعد ابتعادك عاماً احرقت فيه ضلوعي
وايس لي من معين وليس لي من شفيع

فقال ريشار نعم عدت اليك ياجاني واغتنمت فرصة غياب مبراي لاخاطبك على انفراد. فاجابت : على انفراد ؟ وهل لديك سرٌ تروم اطلاعي عليه . فاجاب لدي مسألة اطلب منك الموافقة عليها فقالت موافقتي انا ؟ فيالسعادتي مرني بما تشاء أأنت في حاجة الى المال لابيع احدى مزارع ابي. اجلس اولاً ياحبيبي فقال ريشار لا استطيع الجلوس لانني ساعود الساعة قالت تعود دون ان تاخذني فقال لااستطيع اخذك الآن هل تضجرين في هذا المكان فاجابت لا اضجر من الوحدة ولكني اضجر لكوني بعيدة عنك لا سيما وانك لا تجاوبني على رسائلي فقال اظنك تعرفين السبب فاجابت

لا تعتذر لا تعتذر اني بشغلك داريه
لكننا نحن النسا ء نرى الحياة الغاليه
موجودة للحب لا للحادثات القاسيه
ولذاك كنت نسيت سعـ ـيك في الامور الجاريه
حتى فطنت لما عليك به بلادك قاضيه
فشكرت صنعك كلما اتلو الجرائد نائيه
وطربت لاسمك حين تذكره بحمدك داعيه

فلقد هززت الارض با — لخطب الغوالي الغاليه
ياليتني قد كنت سا — معة هنالك رائيه

فاجاب ريشار ولكنك تعلمين ان حالتنا المالية لا تساعدنا على ذلك فقالت جاني نعم وهذا ما جعلني انتظر واصبر ولكن اصدقني ايها الحبيب اما من مانع يمنعك من اقامتي معك في لندن غير رغبتك في الاقتصاد فقال هذا اهم الامور فقالت اسمع اذن ياريشار انني اريحك واستريح معاً فانني اتنازل عن كل حقوق الزوجة وارضى بان اعيش سرًا في المنزل الذي تعيش فيه دون ان يدري احد انني امراتك وبذلك تقتصد ما تريد اقتصاده ايرضيك هذا الشرط ياريشار فقال ريشار وقد هزّ راسه لا ريب انك مجنونة فقالت جاني بانكسار فلندع اذاً هذا الحديث وقل لي ما هو الامر الذي قلت انك جئت من اجله

فقال ريشار وقد تامل هنيهة ان هذا الامر يعيدنا الى الحديث الذي كنا فيه فقالت جاني وما هو فقال متردداً مقطعاً كلامه هو ان مركزي السياسي في لندن .. وبعض الاحوال الوزارية الخصوصية . صارت تقضي بزيادة البعد بيننا

فصاحت جاني حينئذ بدموع

اما كفاك اغترابي عنك من زمنٍ — قاسيتُ فيه ضروب الهمّ والاسفِ
فاي حد له ترضى اما انقطعت — بيني وبينك سبل الودّ والشغف
ولست اسمع عما انت فيه سوى — ما بتُّ اقرأه في سائر الصحف

ريشار: هل ذاك عتب وتأنيب اردتِ به — غيظي لتنتقمي مني وتنتصفي
جاني: كلا ولكنها شكوى ابوح بها — واستعين بدمعي المغدق الوكف
ريشار: مالي على هذه او تلك مصطبر
جاني: — فكيف اصنع ياويلي ويالهفي
واي امر اذاً قد جئت تطلبه — ابح بسرك يا ريشار واعترف
اترك انكلترا وهي التي حفظت — عظام آبائي الماضين والسلف
ماذا تريد وماذا ترتضي والى — متى ابتعادي عن زوج به شرفي

فاجاب هنا ريشار ببرود اشد من برد طين الشتاء اخطأتِ ياجاني فانا لا اريد اكراهك على الخروج من انكلترا بلاد آبائك واجدادك وليس لي حق في ان اطيل هجرك ونفيك .. لقد اخطأ الدهر اذ ربطني واياك برباط واحد مع ما بيننا من تفاوت الاخلاق وتباين الطباع ولكن يجب ان لا نقع تبعة هذا الخطأ على راسك بل يجب عليّ ان أُعيد

لك هناءك وحريتك

فقالت جاني بدهشة لم افهم حرفاً واحداً مما تقول فقال ريشار متمماً حديثه ومع ذلك ياجاني فان الذي جئت اقترحه عليك الآن امر موجود بيننا وانما انتِ تحملين مضاره دون ان تتمتعي بمنافعه

فصاحت جاني تكلم تكلم كمل كمل لانني لا افهم شيئاً . . آه بل اسكت اسكت لانني بدأت افهم

فقال ريشار فلو كان بيننا انفصال . فقالت جاني: كلمة اخرى ايضاً . فقال (شرعي) فصاحت كلبوة جرحت: الطلاق؟ فقال ريشار نعم الطلاق فصاحت جاني باكية آه يا الهي آه يا ابي وامي . فاتم ريشار قائلاً فلو كان بيننا طلاق فقالت آه ما اقساك اسكت والا قتلتني فقال ريشار لماذا تخافين الطلاق ياجاني مع اننا نعيش الآن في حالة كحالته فهل تخافين كلام الناس فاجابت انا لم انظر الى السلاح ولكني شعرت بطعنته . فقال ريشار ببرادة الثقلاء ولكنها طعنة يشفيها الزمان ياجاني فانك لا تزالين فتاة فاذا احببت حباً آخر . .

فصاحت هنا جاني بجنون بالغ مبلغه — حباً آخر . آه ياللعار . . تقول حباً آخر؟ . . . اقتلني ولا تهني . . انا احمل عذاب القتل ولكني لا احمل الاهانة

فقال ريشار لا قتل ولا اهانة ياجاني . وما هذه سوى الفاظ فارغة واشارات باطلة لا ترجعني عن غرضي . فاجابت باكية انه غرض فظيع

غرض فظيع ان وصلت اليه لم ... تسلم من التقريع والتأنيبِ
أتريد تطليقي كأني لم اكن ... ادعوك قرة ناظري وحبيبي
أتريد حرماني من السند الذي ... ارجوه عند الحادث المرهوب
ونسيت ما قد كنت تبدي من رضى ... وعناية بي راجياً تقريبي
هلا ذكرت مواثقاً أكدتها ... لابي وامي يوم كنت خطيبي
هلا رثيت لزوجة مسكينة ... محرومة من ناصر وقريب
وكفيتني نكد الحياة لانني ... لا استحق مرارة التعذيب

فقال ريشار: ومن قال انني اعذبك ياجاني فانني لا ادع احداً يعرف بامر طلاقك وان كنت تخافين تشهير المحكمة وتفاصيل المحاكمة فاعلمي انني لا ارفع قضيتنا الى المحكمة ابداً لان ذلك يضر بمصلحتي

فقالت وكيف اذن تريد الطلاق فانني لم اعد افهم شيئًا

فقال اننا نتفق ياجاني معًا على الطلاق ومتى رضيت ِ به لم يبقَ من حاجة الى المحكمة طبقًا للقانون

فصاحت هنا جاني بغضب شديد : ماذا؟ اتحسبني لئيمة الى هذا الحد ؟ هل خطر في بالك انني اوقّع من تلقاء نفسي على صك اقول فيه انني ساقطة غير اهل لان اكون زوجة السر ريشار. اذًا انت لم تعد تعرف اخلاقي • فان الدموع والمصائب قد غيرتها وجعلت في نفسي ارادة قوية قادرة على الصبر والثبات • وهذا من سوء معاملتك. هذه نتيجة عملك. فلننظر الآن من منا الاقوى • انا الضعيفة ام انت القوي ؟ ايها السر ريشار انا ارفض ما طلبت

وقد قالت ذلك برأس شامخ وصوت مرتجف من الغضب والانفعال

فبهت ريشار ثم قال بسكينة : ايتها السيدة لم اتخذ معك الى الآن غير اللين والمسالمة

فقالت بغضب : جرب غير اللين اذا اردت

فدنا ريشار منها بثبات جاش وتجهم وقال : جاني

فخطت جاني خطوة نحوه وقالت بجد وتجهم ايضًا : ريشار

فقال ويلك ايتها التعيسة اتعلمين ماذا افعل بك اذا اصررت على الرفض

فقالت ربما فطنت الى ذلك

فقال اولا ترتعدين اذًا

فقالت ارتعد ؟ ولماذا. انظر اليّ

فقبض ريشار على يدها بقوة وقال ايتها المراة عودي الى رشدك

فجثت جاني بانكسار لفروغ غضبها وانتهائه وصاحت : آه يا رباه • فانهضها ريشار قائلاً لماذا تجثين ؟ فقالت رفقًا به يا الهي لانه لا يعلم ماذا يفعل. فهنا غضب ريشار وصاح بها : بل ادعي الله ايتها المرأة ان يرفق بكِ انتِ لانكِ احق بالشفقة مني. انا ذاهب وهذا آخر عهدي بكِ. قال هذا واندفع نحو الباب يريد الخروج. فوثبت جاني وتمسكت به وطوّقته بذراعيها صارخة ريشار ريشار بعيشك لا تذهب

فحاول ريشار التملص من ذراعيها فدفعها وهو يقول : دعيني دعيني. فقالت باكية ريشار ريشار آه لو تعلم كم احبك

فقال برهني على حبك لي بخضوعك. فقالت جاني تناجي نفسها. آه يا اماه لقد صدقت

بقولك عن اخلاقه

وكان ريشار قد سئم تعلقها به فقال : اسالكِ للمرة الاخيرة انتركينني ام لا ؟

فاجابت المسكينة مستعطفة : حبيبي . روحي . اسمع لي

فقال ريشار بضجر بل اسمعي لي انتِ . ارضي بما طلبته منكِ . اياكِ ان تكتبي لي بعد اليوم حرفاً واحداً او يعرف احد بوجودك . اودعكِ الان

قال هذا وهمَّ بالخروج . فانطرحت جاني ثانيةً عليه وامسكت به قائلة : لا . لا تذهب

فغضب ريشار غضباً شديداً وصاح : افٍّ من هذا الدلال . فقالت وهي ممسكة به انك لا تسافر الان ولو قتلتني

فلما رأى تعلقها به دفعها عنه دفعة شديدة بكل قواه فسقطت على الارض ورضَّ رأسها فاغمي عليها وسال دمها

وبعد ذلك خرج ريشار غاضباً وهو يقول ويل للوزراء فانني سأناقشهم الحساب على ما قاسيته من العناء في هذا المكان

(البقية للجزء التالي)

اجداد السوريين القدماء

خلاصة من تاريخ الفينيقيين

مدنهم . حكومتهم . عاصمتهم . بناؤهم قرطجنة . ديانتهم . صناعتهم . بحريتهم
بضائعهم . تاثيرهم على العالم

وصفها فينيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية واعلى سلسلة في جبل لبنان . بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل اودية ضيقه ومجارٍ حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسايل من الثلوج . تعبث بها العواصف الى آخر الربيع اما في الصيف فينضب ماؤها الا ما خزن منه في الآبار والصهاريج . ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم

ارز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالغة شاطئ البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان

مدنها تتألف عن بعد على طول الشاطئ الصخري رؤوس من البحر او جزر منه تكون منها مرافئ طبيعية ففي هذه الموانئ اقام الفينيقيون مدنهم · فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل · وكانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويجلبون الماء في القوارب · اما مدينة جبيل وبيروت وصيدا فكانت في اليبس · ولم تكن ارض هذه البلاد لتقوم باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة

الخرائب الفينيقية لم يحفظ عن الفينيقيين كتاب فقد ضاعت حتى كتبهم المقدسة · ولقد جرى الحفر في مواضع مدنهم ولكن الخرائب على ما قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم الا في البلاد المهملة المتروكة · على ان السوريين عنوا كثيرًا بالخرائب فانتهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى وهدموا العمارات ليستعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكراهة المسلم الصور المنحوتة بحيث لم يبقَ اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر. اطلال قلما تجدي نفعًا وتأتي العلم بفوائد.وليس ما عرف عن الفينيقيين الا ما علَّمناه كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقيين لم تكن فينيقية مملكة قائمة براسها بل كان لكل مدينة ناحية صغيرة تستقلّ بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث بمندوبيها الى اعظم مدينة فينيقية لفض المصالح المشتركة وكانت صور محط رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر. واذ لم يكن الفينيقيون امة حربية خضعوا لسطوة جماع الفاتحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا لهم الجزية

صور كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من اهم المدن الفينيقية ضاقت على اهلها فاقيمت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها · ولقد اسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيبون الفضة من مناجم اسبانيا وسلع العالم القديم اجمع · دعاهم اشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب واوب · وطلب سليمان الى حيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس

قرطاجنة كانت هذه المدينة مستعمرة صور ففاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة قرطاجنة على شاطىء افريقية بالقرب من تونس بعثتهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) . ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها الا مسافة تكفي لتغطية جلد ثور ففصلت جلد الثور سيورًا رقيقة بحيث اقتضت مكانًا واسعًا يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسعت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فاقامت هي ايضًا مستعمرات وفتحت فتوحًا حتى آل امرها الى ان حكمت شاطىء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني اقتضى لقرطاجنة ان تدرّب لها جيشًا لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانتقاض . ومن ثمّ كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها الا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جندًا من البربر سكان بلادها ومن متشرّدي كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملوّنة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به تخالف بزة رصيفه واسلحته . فترى فيهم النوميديين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدوًا . كما كنت ترى فيهم الليبيين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد . وغاليين عراة الى الزنار يحملون تروسًا كبيرة وسيفًا محدبًا يمسكونه بكلتا يديهم . وجماعة من الباليارين مدرَّبين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع . اما القواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فترقبهم عن امم وربما صلبتهم اذا غُلبوا او لم يحرزوا نصرًا مؤزرًا

القرطاجنيون كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من اغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية ينهى بها الى الحكومة مسالة تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم ولما كان لهم اسطول منظم وعندهم مال يستأجرون به جندًا وحكومة باطشة تهيأ لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهراني شعوب بربرية منشقة على نفسها مختلفة كلمتها

الديانة الفينيقية للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر. والشمس والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة تحيي وتميت. ولكل من المدائن الفينيقية ربان. فلصيدا بعل صيدون «الشمس» وعشتروت «القمر» ولقرطاجنة بعل عمون وتانيت ولجبيل بعل تموز وباليت. ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات ايجاداً وعدماً وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم مولوخ ويعتبر عدماً. وقد تنوب عن هذه الارباب اصنام ولها معابد ومذابح وكهنة يعظمون من شانهم ويقيمون لهم المآدب والاعياد الحافلة باعتبار كونهم موجدين ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم مخربين. وتعبد عشتروت ربة الصيد العظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر والحمامة ويرسم بعل مولوخ في قرطاجنة تمثالاً عظيماً من القلز باسطاً ذراعيه ومدليهما واذا ارادوا تسكين غضبه يرفعون على يديه اطفالاً تسقط للحال في هاوية من نار. وقد قدّم اعيان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا للربة مولوخ في خلال حصار اغاتوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت عليه من الشهوات وسفك الدماء لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ويأتمون بها فكان يذبح اليهود لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصيدون باسم افروديت وبعل ملخارت من صور تحت اسم هيراكليس

التجارة الفينيقية

اشغال الفينيقيين عاش الفينيقيون بالتجارة لازدحام اقدامهم في بقعة ضيقة من الارض ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغاليين والطليان) عهد بركوب البحار وشق العباب والفينيقيون وحدهم جرأوا في تلك الايام على تجشم البحر فصح ان يدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة البيع والشراء يبتاعون من كل شعب سلعه ويتقايضون معه على غلات البلاد الاخرى. تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً

القوافل اعتاد الفينيقيون ان يرسلوا في البر قوافل تتجه وجهات ثلاث احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق اليماني والبخور والصبر وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والخمر والاحجار الكريمة والماء المعطر

وحرير الصين . وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والاواني النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

بحريتهم بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باشرعة ومجاذيف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابدًا على مقربة من الشواطيء في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجعل نجمة القطب قيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال . ولقد فطر الفينيقيون على الاستخفاف بركوب اليمّ فالقوا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هرقل » فيجتازون البحر المحيط الى شواطيء انكلترا وربما بلغوا بلاد النروج . سافرت عصابة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر . وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطيء افريقية الى خليج غينة . وقد كتب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

البضائع كان الفينيقيون يبتاعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويبحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاصيل . يصطادون الصدف من شاطيء بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغًا احمر وهو الارجوان . وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الاقدمين كافة ملابس للملوك والامراء . ويجلبون الفضة التي يستخرجها اهل اسبانيا وسردينيا من مناجمهم وكان القصدير من ضروررياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا اثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطيء انكلترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد . وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يبتاعونه تارة كما كان يبتاع النخاس العبيد في ساحل افريقية . اذ الشعوب القديمة كلها كانت تتجر بالرقيق . وينزلون طورًا في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال وينقلبون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية . واذا واتتهم الحال ينقلبون قرصانًا ولا يتحامون اطالة يد التعدي على الاغيار

سرّ اختص به الفينيقيون لم يقلق الفينيقيون الاَّ من قيام تجارة الامم الاخرى الى منازعتهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والاتجار فمن ثم كانوا يكتمون الطريق التي يسلكونها لدن عودتهم من الاقطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزائر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير . وقد رأت احدى المراكب بلاد اسبانيا

التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون تعمد · وكانت قرطاجنة تغرق من تصادفهم التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق · حتى ان ربان احد المراكب اغرق سفينته ذات يوم عندما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

﴿ مستعمراتها ﴾ انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقعة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة انسجة ونخار وحلي واصنام فياتي اهل تلك البلاد بغلاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين زنوج افريقية · تقام امثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي كانت على همجيتها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية ومالطة وسردينيا وشواطئ اسبانيا (مالقة وقادس) وربما اقاموها في بلاد الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربة على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سيتير · والرب ملخارت كما في كورنت · ورب ذو جبهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في اقريطش

﴿ نفوذ الفينيقيين ﴾ لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما اسسوا مكاتبهم التجارية الا الاحتفاظ بمصلحتهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت مستعمراتهم التمدن فان برابرة الغرب اخذوا عن امم الشرق وكانت اكثر منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا محاكاتها · مضى حين من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

﴿ الابجدية ﴾ حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج · على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على كلمة برمتها · لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة ابسط لكتابة رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقتبست الشعوب الاخرى هذه الابجدية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً · فقد كتب اليهود من اليمين الى

الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا شكل الحروف الا قليلاً . والخط الفينيقي على التحقيق اصل الابجديات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي وابتروسكي وايبيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين علموا العالم الكتابة (المقتبس)

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

ترجمة جمال الدين الافغاني

الذي تنسب اليه يقظة مصر والشرق الادبية

بقلم تلميذه العلامة الشيخ محمد عبده

«يحملنا على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل الفاضل ما رأيناه من تخالف الناس في امره وتباعد ما بينهم في معرفة حاله وتباين صوره في مخيلات اللاقفين لخبره حتى كأنه حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه او قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله والرجل في صفاء جوهره وزكاء مخبره لم يصبه وهم الواهمين ولم يمسه حزر الخراصين وانا نذكر مجملاً من خبره نرويه عن كمال الخبرة وطول العشرة

هذا هو السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفتر من بيت عظيم في بلاد الافغان ينمى نسبه الى السيد علي الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى سيدنا الحسين ابن علي ابن ابي طالب كرّم الله وجهه . وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطة «كنر» من اعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة ايام ولهذه العشيرة منزلة علية في قلوب الافغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف وكانت لها سيادة على جزء من الاراضي الافغانية تستقل بالحكم فيه وانما سلب الامارة من ايديها دوست محمد خان جد الامير الحالي وامر بنقل ابي السيد جمال الدين وبعض اعمامه الى مدينة كابل

« ولد السيد جمال الدين في قرية (اسعد آباد) من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هجرية وانتقل بانتقال ابيه الى مدينة كابل وفي السنة الثامنة من عمره اجلس للتعلم وعني والده بتربيته فأيد العناية به قوة في فطرته واشراق في قريحته وذكاء في مدركته فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهايتها . تلقى علوماً جمة برع في جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان و بيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول فقه وكلام وتصوف ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية والهية ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ومنها نظريات الطب والتشريح . اخذ جميع تلك الفنون عن اساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة في تلك البلاد وعلى ما في الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه في الثامنة عشرة من سنه ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية فاقام بها سنة و بضعة اشهر ينظر في بعض العلوم الرياضية على الطريقة الاوربية الجديدة واتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية لاداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة وهو يتنقل من بلد الى بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة في سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التي مرّ بها في سياحته واكتنه اخلاقهم واصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع بعد اداء الفريضة الى بلاده ودخل في سلك رجال الحكومة على عهد الامير دوست محمد خان ولما زحف الامير الى هراة ليفتحها و يملكها على سلطان احمد شاه صهره وابن عمه سار السيد جمال الدين معه في جيشه ولازمه مدة الحصار الى ان توفي الامير وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمناً طويلاً . وتقلد الامارة ولي عهدها شير علي خان سنة ١٢٨٠ واشار عليه وزيره محمد رفيق خان ان يقبض على اخوته خصوصاً من هو اكبر سناً منه و يعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وألبوهم للفساد طلباً للاستبداد بالامارة . وكان في جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة محمد اعظم ومحمد اسلم ومحمد امين . وهوى الشيخ جمال الدين كان مع محمد اعظم فلما احسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير اسرعوا الى الفرار وتفرقوا الى الولايات كل منهم ذهب الى ولايته التي كان يليها من قبل ابيه ليعتصم بمنعته فيها وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخلية . و بعد مجالدات عنيفة عظم امر محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن (الامير السابق) وتغلبا على عاصمة المملكة وانقذا محمد افضل والد عبد الرحمن من سجن غزنة وسمياه اميرًا على افغانستان ثم ادركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد اعظم خان وارتفعت منزلة الشيخ

جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه في العظائم وما دونها (على خلاف ما تعوده امراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم) وكادت تخلص حكومة الافغان لمحمد اعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوي قرابته حمله على تفويض مهمات من الاعمال الى ابنائه الاحداث وهم خلو من التجربة عراة من الحنكة فساق الطيش احدهم وكان حاكماً في قندهار على منازلة عمه شير علي في هرات ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى انه يظفر فينال عند ابيه حظوة فيرفعه على سائر اخوته فلما تلاقى مع جيش عمه دفعته الجرأة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندي واخترق بها صفوف اعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ما التفت يعقوب خان قائد شير علي فوجد ذلك الغرّ المتهور منقطعاً عن جيشه فكرّ عليه واخذه اسيرًا فتشتت جند قندهار وقوي الامل عند شير علي فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكليز شير علي و بذلوا له قناطير من الذهب ففرّقها في الرؤساء والعاملين لمحمد اعظم فبيعت امانات ونقضت عهود وجددت خيانات وبعد حروب هائلة تغلب شير علي وانهزم محمد اعظم وابن اخيه عبد الرحمن فذهب عبد الرحمن الى بخارى (وعاد الى بلاده رحمه الله) وذهب محمد اعظم الى بلاد ايران ومات بعد اشهر في مدينة نيسابور وبقي السيد جمال الدين في كابل لم يمسه الامير بسوء احتراماً لعشيرته وخوف انتقاد العامة عليه حمية لآل البيت النبوي . الا انه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا راى السيد جمال الدين خيرًا له ان يفارق بلاد الافغان فاستأذن للحج فاذن له على شرط ان لا يمر ببلاد ايران كيلا يلتقي فيها بمحمد اعظم وكان لم يمت فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥ بعد هزيمة محمد اعظم بثلاثة اشهر فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في اجلال الا انها لم تسمح له بطول الاقامة في بلادها ولم تاذن للعلماء في الاجتماع عليه الا على عين من رجالها فلم يقم اكثر من شهر ثم سيرته من سواحل الهند في احد مراكبها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر واقام بها نحو اربعين يوماً تردد فيها على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسالوه ان يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضاً منه في بيته ثم تحوّل عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة

وصل الاستانة وبعد ايام من وصوله امكنته ملاقاة الصدر الاعظم علي باشا ونزل

منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله واقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغاني قباء وكساء وعمامة عجراء وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وادبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم وبعد ستة اشهر سمي عضوًا في مجلس المعارف فادى حق الاستقامة في ارائه واشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب اليها رفقاؤه. ومن تلك الطرق ما احفظ عليه قلب شيخ الاسلام لتلك الاوقات حسن فهمي افندي لانها كانت تمس شيئًا من رزقه فارصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ فرغب اليه مدير دار الفنون تحسين افندي ان يلقي فيها خطابًا للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه في اللغة التركية فألح عليه تحسين افندي فانشأ خطابًا طويلاً كتبه قبل القائه وعرضه على وزير المعارف وكان صفوت باشا. وعلى شرواني زاده وكان مشير الضابطية وعلى دولتلو منيف باشا ناظر المعارف وكان عضوًا في مجلس المعارف واستحسنه كل منهم واطنب في مدحه

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة واعيان اهل العلم وارباب الجرائد وحضر في الجمع معظم الوزراء وصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة والقى ما كان اعده وارسل حسن فهمي افندي اشعة نظره في تضاعيف الكلام ليصيب منه حجة للتمثيل به وما كان يجدها لو طلب حقًا ولكن كان الخطاب في تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حي وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدي من المنفعة في المعيشة ما يؤديه العضو في البدن فشبه الملك مثلاً بالمخ الذي هو مركز التدبير والارادة. والحدادة بالعضد والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين ومضى في سائر الصناعات والاعضاء حتى اتى على جميعها ببيان ضاف واف ثم قال هذا ما يتالف منه جسم السعادة الانسانية ولا حياة لجسم الا بروح وروح هذا الجسم اما النبوة وإما الحكمة ولكن يفرق بينهما بان النبوة منحة الهية لا تنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده والله اعلم حيث يجعل رسالاته. اما الحكمة فمما يكتسب بالفكر والنظر في المعلومات وبان النبي معصوم من الخطأ والحكيم يجوز عليه الخطأ بل يقع فيه. وان احكام النبوات آتية على ما في علم الله لا ياتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فالاخذ بها من فروض الايمان اما اراء الحكماء فليس على الذمم فرض اتباعها الا من باب ما هو الاولى والافضل على شريطة ان لا تخالف الشرع الالهي. هذا ما ذكره متعلقًا بالنبوة وهو منطبق على ما اجمع عليه علماء الشريعة الاسلامية الا ان حسن فهمي

افندي اقام من الحق باطلاً ليصيب غرضه من الانتقام فاشاع ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة واحتج لتثبيت الإشاعة بانه ذكر النبوة في خطاب يتعلق بالصناعة (وهكذا تكون حجج طلاب العنت) ثم اوعز الى الوعاظ في المساجد ان يذكروا ذلك محفوفاً بالتفنيد والتنديد فاهتم السيد جمال الدين للمدافعة عن نفسه واثبات براءته مما رمي به وراى ان ذلك لا يكون الا بمحاكمة شيخ الاسلام (وكيف يكون ذلك) واشتد في طلب المحاكمة واخذت منه الحدة مبلغها واكثرت الجرائد من القول في المسالة فمنها نصراء للشيخ جمال الدين ومنها اعوان لشيخ الاسلام فاشار بعض اصحاب السيد عليه ان يلزم السكون ويغضي على الكريهة وطول الزمان يتكفل باضمحلال الاشاعات وضعف اثرها فلم يقبل ولج في طلب المخاصمة فعظم الامر وآل الى صدور امر الصدارة اليه بالجلاء عن الاستانة بضعة اشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء . ففارق الاستانة مظلوماً في حقه مغلوباً لحدته وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها في اول محرم سنة ١٢٨٨ هذا مجمل امره في الاستانة

مال السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقى صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام واجرت عليه الحكومة وظيفة الف قرش مصري كل شهر نزلاً اكرمته به لا في مقابلة عمل واهتدى اليه كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فاورى واستفاضوا بحره ففاض دراً وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الاعلى والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفي علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم اصول الفقه الاسلامي وكانت مدرسته بيته من اول ما ابتدأ الى آخر ما اختتم ولم يذهب الى الازهر مدرساً ولا يوماً واحداً . نعم كان يذهب اليه زائراً واغلب ما كان يزوره يوم الجمعة . عظم امر الرجل في نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائد الاخذ عنه واعجبوا بدينه وادبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته في الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عقل الاوهام عن قوائم العقول فنشطت لذلك ألباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل في الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة في مصر بسعيه وكان ارباب القلم في الديار المصرية القادرون على الاجادة في المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكري وخيري باشا ومحمد باشا سيد احمد على ضعف فيه ومصطفى باشا وهبي على اختصاص فيه ومن عدا هؤلاء فاما

ساجعون في المراسلات الخاصة واما مصنفون في بعض الفنون العربية او الفقهية وما شاكلها

ومن عشر سنوات ترى كتبة في القطر المصري لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم واغلبهم احداث في السن شيوخ في الصناعة وما منهم الا من اخذ عنه او عن احد تلامذته او قلد المتصلين به ومنكر ذلك مكابر وللحق مدابر · هذا ما حسده عليه اقوام واتخذوا سبيلاً للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية اخذاً يقول جماعة من المتأخرين في تحريم النظر فيها على ان القائلين بهذا القول لم يطلقوه بل قيدوه بضعفاء العقول قصار النظر خشية على عقائدهم من الزيغ اما الثابتون في ايمانهم فلهم النظر في علوم الاولين والآخرين من موافقين لمذاهبهم او مخالفين فلا يزيدهم ذلك الا بصيرة في دينهم وقوة في يقينهم · ولنا في ائمة الملة الاسلامية الف حجة تقوم على ما نقول ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ما اودعته كتب الفلاسفة الى رأي هذا الرجل واذاعوا ذلك بين العامة ثم ايدهم اخلاط من الناس من مذاهب مختلفة كانوا يطرقون مجلسه فيسمعون ما لا يفهمون ثم يحرفون في النقل عنه ولا يشعرون غير ان هذا كله لم يؤثر في مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شانه في ارتفاع والقلوب عليه في اجتماع الى ان تولى خديوية مصر حضرة خديويها المغفور له توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الناشرين لمحامده الا ان بعض المفسدين ومنهم (مستر فيفيان) قنصل انكلترا الجنرال سعى فيه لدى الجناب الخديوي ونقل المفسد عنه ما الله يعلم انه بريء منه حتى غير قلب الخديوي عليه فاصدر امره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه ابو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدر آباد الدكن وفيها كتب هذه الرسالة في نفي مذهب الدهريين · ولما كانت الفتنة الاخيرة بمصر دُعي من حيدر آباد الى كلكته والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى امر مصر وفثأت الحرب الانكليزية ثم ابيح له الذهاب الى اي بلد فاختار الذهاب الى اوربا واول مدينة اصعد اليها مدينة لوندره اقام بها اياماً قلائل ثم انتقل عنها الى باريز واقام بها ما يزيد على ثلاث سنوات وافيناه في اثنائها · ولما كلفته جمعية العروة الوثقى ان ينشئ جريدة تدعو المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية ايدها الله سألني ان اقوم على تحريرها فاجبت ونشر من الجريدة ثمانية عشر عدداً وقد اخذت من قلوب الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ما لم ياخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه وذلك لخلوص النية في تحريرها وصحة المقصد في تحبيرها ثم قامت الموانع دون

الاستمرار في اصدارها حيث أقفلت ابواب الهند عنها واشتدت الحكومة الانكليزية في اعنات من تصل اليهم فيه ثم بقي بعد ذلك مقيماً في اوربا اشهراً في باريز واخرى في لوندره الى اوائل شهر جمادى الاولى سنة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية

اما مذهب الرجل فحنيفيٌّ حنفيٌّ وهو وان لم يكن في عقيدته مقلداً لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضي الله عنهم وله مثابرة شديدة على اداء الفرائض في مذهبه وعرف بذلك بين معاشريه في مصر ايام اقامته بها ولا ياتي من الاعمال الا ما يحلُّ في مذهب امامه فهو اشد من رأيت في المحافظة على اصول مذهبه وفروعه اما حميته الدينية فهي مما لا يساويه فيها احد يكاد يلتهب غيرة على الدين واهله

اما مقصده السياسي الذي قد وجه اليه افكاره واخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته وكل ما اصابه من البلاء اصابه في سبيله فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها حتى تلحق الامة بالامم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شانه وللدين الحنفي مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار المشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانكليز شؤون يطول شرحها

اما منزلته من العلم وغزارة المعارف فليس يحدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها. لهذا الرجل سلطة على دقائق المعاني وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له. وله قوة في حل ما يعضل منها كأنه سلطان شديد البطش فنظرة منه تفكك عقدها. كل موضوع يلقى اليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه فياتي على اطرافه ويحيط بجميع اكنافه ويكشف ستر الغموض عنه فيظهر المستور منه. واذ تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها. ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع كأن ذهنه عالم الصنع والابداع. وله لسن في الجدل وحذق في صناعة الحجة لا يلحقه فيهما احد الا ان يكون في الناس من لانعرفه. وكفاك شاهداً على ذلك انه ما خاصم احداً الا خصمه ولا جدله وعالم الا الزمه. وقد اعترف له الاوربيون بذلك بعدما اقرَّ له الشرقيون. وبالجملة فاني لو قلت ان ما اتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو اقصى ما قدّر لغير الانبياء لكنت غير مبالغ. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

اما اخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته وله حلم عظيم يسع ما شاء الله ان يسع الى ان يدنو منه احد ليمسّ شرفه او دينه فينقلب الحلم الى غضب تنقض منه الشهب. فبينما هو حليم اوّاب اذا هو اسد وثّاب. وهو كريم يبذل ما بيده قوي الاعتماد على الله. لا يبالي

ما تأتي به صروف الدهر عظيم الامانة سهل لمن لاينه صعب على من خاشنه طموح الى مقصده السياسي الذي قدمناه اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيرًا ما كان التعجل علة الحرمان وهو قليل الحرص على الدنيا بعيد من الغرور بزخارفها ولوع بعظائم الامور عزوف عن صغارها شجاع مقدام لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه الا انه حديد المزاج وكثيرًا ما هدمت الحدة ما رفعته الفطنة الا انه صار اليوم في رسو الاطواد وثبات الاقتاد فخور بنسبه الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لايعد لنفسه مزية ارفع ولا عزًّا امنع من كونه سلالة ذلك البيت الطاهر وبالجملة ففضله كعلمه والكمال لله وحده

اما خلقه فهو يمثل لناظره عربيًا محضًا من اهالي الحرمين فكأنما قد حفظت له صورة آبائه الاوَّلين سكنة الحجاز حماه الله. ربعة في طوله وسط في بنيته قمحي في لونه عصبي دموي في مزاجه عظيم الراس في اعتدال عريض الجبهة في تناسب واسع العينين عظيم الاحداق ضخم الوجنات رحب الصدر جليل في النظر هش بش عند اللقاء قد وفاه الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه

بقي علينا ان نذكر له وصفًا لو سكتنا عنه سالنا عن اغفاله وهو انه كان في مصر يتوسع في اتيان بعض المباحات كالجلوس في المتنزهات العامة والاماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرج المحزونين لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار وكان مجلسه في تلك المواضع لا يخلو من الفوائد العلمية فكان بعيدًا من اللغو منزَّهًا عن اللهو وكان يوافيه فيها كثير من الامراء وارباب المقامات العالية واهل العلم. وهذا الوصف ربما عدَّه عليه بعض حاسديه لكن الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه واي غضاضة على المرء المؤمن في ان يفرج بعض همه بما اباح الله له

اقتفاء الاثر

LA PISTE

رواية غرامية اجتماعية عائلية تاليف ساردو

تذكار من سياحة صاحب الجامعة

﴿المؤلف﴾ فيكتوريين ساردو هو اشهر مؤلفي الروايات التمثيلية الفرنسوية اليوم اذا وضعنا الشاعر ادمون روستان مؤلف (الاكاون) جانباً . وهو شيخ يربي عمره على السبعين وقد صرف حياته في هذا الفن وجعلته مكانته فيه رئيساً لجمعية مؤلفي الروايات التمثيلية . والمشهور ان جميع الملاعب التمثيلية في جميع العالم المتمدن تنسج على منوال الملاعب الفرنسوية وتنقل رواياتها لان الفرنسويين مشهورون وممتازون بالفنون الجميلة وسلامة الذوق فيها كما هو معروف

﴿الرواية﴾ فلما وصلنا الى فرنسا كان من جملة الامور التي عزمنا على درسها فيها بتدقيق وامعان ملاعبها وممثلوها لاننا ممن اشتغلوا بوضع الروايات التمثيلية ولنا في جوق الشيخ سلامه روايتان (البرج الهائل) و (ابن الشعب) فعلمنا حين وصولنا الى مرسيليا ان ساره برنار الممثلة المشهورة غائبة في الولايات المتحدة ولكن مناظرتها (ريجان) تمثل تلك الليلة في مرسيليا رواية La Piste للمؤلف ساردو . فابتعنا احدى اوراق الدخول ودخلنا الى مرسح غاص با كابر سكان مرسيليا . ولا تسل عن جمال المكان والسكان

وكنا قد قرانا هذه الرواية في مقالات الناقدين الفرنسويين حين ظهورها في العام الماضي فلما شهدناها لم تكبر ولم تصغر في عيننا بل رأيناها كما هي لان نقدة الفرنسويين يحسنون تلخيص ونقد المواضيع

واليك موضوع الرواية

تزوج رجل بمطلقة وهي سيدة جميلة من سيدات باريز الجميلات في ذات

يوم بينما كان يبحث في (درج) عثر على رسالة الى امرأته من عاشق لها. والرسالة تدل على ان زوجته قدخانته الخيانة الكبرى. فلما رأى ذلك طار صوابه وهمّ بطلب الطلاق. وكانت امرأته تحبه حباً حقيقياً وهو يحبها كما تحبه. فتوسط في الامر بعض الاهل فاعترفت الزوجة بان ذلك الامر وقع على زمن الزوج الاول والرسالة من ذلك التاريخ فلا حق للزوج الثاني اذ يناقشها الحساب عما سلف في زمن سلفه. فسألتها احدى صديقاتها ولماذا فعلتِ ذلك فاجابتها هذا الجواب النسائي البسيكولوجي الصحيح : كنتُ متضجرة فاتخذتُ خليلاً. وقد صدقتْ فليس شيء كالضجر يفسد قلوب النساء. فذهبت السيدة المتهمة وصديقة لها الى زوجها الاول ورجت منه ان يشهد بوقوع هذا الامر قبل زواجها الثاني اذا سُئل عنه. تعني ان يشهد انه وقع على زمنه. فاستقبلها الزوج الاول باشاً ضاحكاً ووعدها بهذه الشهادة وهو يظن انها لم تطلبها منه الا تخلصاً من الطلاق. اما الزوج الثاني فانه سار يقتفي اثر الرسالة لمعرفة تاريخها الحقيقي وذلك ليعلم أكان الامر في زمنه ام في زمن الزوج الاول. والتقاء الزوجين في احد الفصول غاية في المجون والاستهزاء. واذا كان الحاضر متزوجاً فانه يشمئز من الزواج واذا كان عازباً فانه يكرهه ويحمد الله على انه ليس له زوجة تخونه وهذا عيب في الرواية لانها تنفر الناس من الزواج. ولكن عذر المؤلف انه يصوّر الحياة كما هي لا كما يجب ان تكون وهو ما يسمونه الروايات الاجتماعية الاخلاقية. وبعد ان بحث الزوج الثاني كثيراً في اثر تاريخ الرسالة تعترف الزوجة ان الجريمة وقعت في فندق صغير في اطراف باريز. فيهرع الجميع الى الفندق للاطلاع على تاريخ اليوم في السجل. فيلتقي عند الفندق الزوج الثاني وزوجته والزوج الاول وبعض الاهل ويأتي ايضاً قريب للزوج الاول وهو ابن اخيه على ما نظن. فلما ينفرد الزوج بزوجته تبكي الزوجة وتقول له انني احببتك بكل جوارحي وكنت امينة

لك بكل قوى نفسي وانظر كيف تعاملني · انك عند اول شبهة تطرحني على قارعة الطريق · فقال لها اذا كان ما تقولين حقاً من ان الامر وقع في زواجك الاول فلماذا لم تطلعيني عليه حين زواجنا فان ذلك كان من واجباتك · فاجابته هذا الجواب النسائي : لماذا اعكر صفو فكرك وحبك اني كذبتُ كذبة قصدتُ بها راحتك وهناءك · ففي الكذب ما ينجي ويُريح · قلنا وهذا قول لا يرضى عنه فلاسفة العمران وعلماء الآداب اذا رضي عنه مؤلفو الروايات

والحاصل انهم يكتشفون في الفندق ان الجريمة حصلت في زمن زواجها الاول فيتنفس الزوج الثاني الصعداء ويقبلها من فرحه · ويظهر ان شريكها في الجريمة ابن اخي الزوج الاول فلما يعلم زوجها الاول ان الجريمة كانت حقيقية في زمنه يغضب غضباً شديداً ويمسك بابن اخيه · وتختم الرواية بكلمة دقيقة معناها ان الانسان خاضع للوهم على الدوام ·

وكأن جميع مغزى الرواية في هذه الكلمة · والرواية كلها انما هي تهكم واعتراض على الطلاق كما رأيت · فان الزوج الثاني لم يعتبر الفاحشة فاحشة لوقوعها في غير زمنه والمرأة من حقها ان تقول له : كنتُ امينة لك فليس لك حق في ان تسألني عما وقع مع غيرك

﴿ريجان وساره﴾ وبعد التمثيل القت ريجان نوادر وفكاهات على الحاضرين فضحكوا كثيراً لحركاتها ومزاحها · ولكنها تهكمت على ساره برنار كثيراً في خلال هذه الفكاهات وقلدت كلامها لتضحك الناس منها · وعذرها في ذلك انها تهكمت هي نفسها على نفسها في بعض تلك الفكاهات ولكنها لم تضحك الناس منها الا قليلاً واضحكتهم من سارة كثيراً · وبالاجمال اننا وجدنا ريجان تمثيلاً والقاء وتأثيراً دون شهرتها

الشيخ محمد عبده والجامعة

بعد المناظرة

وقبل وفاة الاستاذ بعام ذهب في الصيف الى بلاد الانكليز ومن هناك عرج على الجزائر وتونس فلقي في بلاد انكليز والاقطار التونسية والجزائرية من الاجلال والاكرام ما لا يلقاه الا العظماء والامراء . وقد استقبله علماء الانكليز واساتذتهم استقبالاً يفوق استقبالهم استاذه جمال الدين الافغاني . لان الاستاذ المفتي سار اليهم وهو لا يحمل فقط قبس العلم الشرقي بل كان يحمل ايضاً وظيفة الافتاء الكبرى للمسلمين في جميع الاقطار

وقبل عودته من سياحته هذه اذاع بعض مناظري « الجامعة » في مصر في الصحافة المصرية انه قبل وصول المفتي الى الجزائر وتونس أُرسلت وشايتان من مصر الى حاكم الجزائر في حق فضيلته واحدة من مصر « وواحدة من الاسكندرية » ومضمونها تحريض حاكم الجزائر الفرنسوي على الشيخ محمد عبده بتهمة انه صديق للانكليز وانه في سياحته هذه في المستعمرات الفرنسوية سينشر نفوذهم وينفر الجزائريين والتونسيين من الحكم الفرنسوي ويدعو الى عصبة عربية لمقاومتهم. وقد نشرت احدى الجرائد السورية المصرية اليومية الكبرى يومئذ هذا الخبر كما اذاعه مناظرو الجامعة. فعلمت من قولهم « وواحدة من الاسكندرية » انهم يعنون به « الجامعة » وبما ان نفسي لا تشمئز من شيء في الدنيا اشمئزازها من تهمة الوشاية والسعاية رأيت من واجباتي بعد عودة المفتي من تونس ان اكتب اليه الكتاب التالي. ونسخ الكتب التي كتبتها لفضيلته مكتوبة عندي بقلم رصاص وقد غاب معظم الكتابة الآن

« لحضرة الاستاذ الكريم فضيلتلو الشيخ محمد عنده مفتي الديار المصرية المحترم نفعنا الله بعلمه

« بعد ان اهنئكم بالعودة سالمين من سياحتكم ارجو ان يكون الزمان ومداخلة اصحاب الاغراض لم يغيرا ما أفتخر به من ودادكم لي وللجامعة. واغتنم هذه الفرصة لاستاذن فضيلتكم في نقل درسكم البليغ الذي ينشره المؤيد في « العلم والعليم » (١) الى صفحاتِ الجامعة مع الالمام بشيء من سياحتكم في الغرب التي فيها شرف للشرق . ولي في ذلك غرضان الاول

---

(١) هو الدرس الذي القاه الاستاذ في جامع تونس الكبير بطلب بعض علمائها الافاضل

الدلالة على بقاء المجلة على الاخلاص لفضيلتكم مع كل ما وجه اليها من السب والقذف وتعمد الضر. والثاني لكي تعلموا فضيلتكم انما نشره « فلان » عن ارسال وشايات بسيادتكم الى الجزائر واحدة من مصر « وواحدة من الاسكندرية » هو اولاً نقض للعهد (١) وثانياً اختلاق محض يظن انه خدمة لفضيلتكم مع انه مضر باسمكم الجليل الذي صار اليوم يضره المدح بصورة كهذه الصورة لانه يدل القارىء على وجود خصوم له ينكرون عليه فضله. وغني عن البيان انه لو « أرسلت رسالة وشاية في فضيلتكم من الاسكندرية » لما تسنى « لفلان » ان يدري بها لان رئاسة غرفة حاكم الجزائر الوطنية مشتركة في الجامعة والرسائل بينهما لا يطلع عليها احد. ولم اذكر ذلك لتبرئة الجامعة لديكم من كذب عليها لانكم تعلمون فضيلتكم ان الخصوم الكرام لا يتسفلون الى هذه الدركات بل اذا ارادوا سوءاً جهروا به وطعنوا في الصدور لا في الظهور. ولكن ذكرته لعله يكون في هذا الحادث ما يجعل « فلاناً » يرعوي قليلاً و يفيق من نشوته. وانا في كل حال من اخلص الناس لفضيلتكم واعرفهم بفضلكم »

وكان هذا الكتاب اول خطاب بيننا بعد المناظرة. فاجاب فضيلته عليه بالكتاب التالي :

« الآن وصلني رقيمك واشكرك على التهنئة وعلى الميل الى استدامة الصلة. واحب ان تعرف ان ما يسمى وشايات لا سلطان له عليّ واني لا آخذ بالكلمة تلقى اليّ الا اذا قام عليها من الادلة ما يحصل اليقين. ثم ان قلبي لا يسع ما يسميه الناس عداوة وليس فيه مكان لذلك. ولكن قلبي قد يحتقر ما لا قيمة له. احياناً يظهر ما يجد من ذلك واحياناً لا يبالي باظهاره ولا كتمانه. وما ذكرتَ مما ذكر « فلان » لم اطلع عليه او لم التفت اليه ولا وقت عندي لتحقيقه على انه ان لم يكن فيه الا « وواحدة من الاسكندرية » فليس فيه لا تلميح ولا تصريح بذكرك فلم حملته على نفسك. على انني قد علمت حق العلم ان وشاية او تقريراً او ما شئت فسمه ذهب من الاسكندرية الى الجزائر ولكنك لم تخطر ببالي عندما تحققت ذلك فلم تسىء الظن لمجرد ذكر لفظ يشمل مدينة بتمامها فيها من يشتغل بهذه السفاسف كثير لا يليق بهم ان يكونوا في عمل مثل عمل مجلتك

« وانك لو راجعت دفتر اعمالك لوجدتَ من اكبر ما يصح لقلبي ان يتأثر له ذلك

---

(١) اي العهد الذي أُبرم بالخروج من المناظرة واقفال بابها بين الجامعة ومناظريها

المطبوع «١» الذي ارسلته اليَّ وبعثتُ به الى (فلان) «٢» ولكيلا يبقى منه اثر في نفسي لم أبقِ له اثرًا عندي. وعلى كل حال فلا تجعل لهذه الامور سلطة على نفسك ولا اظن ان عنفوان الشبيبة يمنعك من بذل الجهد فيما احب لك ولكل من يعمل عملاً يرجى منه الخير ويخشى منه الشر في الشرق

«اما ذكرك لمجمل ما القيته في تونس فاليك من ذلك ما تحب غير اني اوجب ان يُنسب الى جريدة (الحاضرة) التي تُنشر في تلك المدينة لامرين الاول انه من حقها والثاني انه بعبارة صاحبها وفيها ما لا يصدر من قلمي العربي عادةً. واذا اشرتَ الى شيء من سياحتي فليكن بعد تحري ما تعلم من ذلك»

فانت ترى ان الاستاذ رحمه الله وضع في جوابه خلاً وخمرًا. وقد ابتسمتُ لما قرأت قوله فيه عن (عنفوان الشبيبة) مع ان الجامعة كانت مدافعة لا مهاجمة ولم يبدر من قلمها كلمة خارجة عن حدود الادب. ولكن المناصب العليا تصيب اصحابها بنوع من الدوار كما يقول الفرنسويون في امثالهم فاذا آنسوا اقل جراءة وثبات جاش من احد عدوه تحاملاً وتهجمًا عليهم. ولكني اذا كنت قد ابتسمت لعبارة الاستاذ في (عنفوان الشبيبة) فانني استأت حقيقةً من كلمة وردت في السطر الرابع. فاجبته بالحال بالجواب التالي

« مولانا الاستاذ

« تناولت كتابكم بسرور وانني اشكر لفضيلتكم ما ورد فيه على انه ظهر لي من بعض عبارات اقبلها رغماً عني احترامًا لكم ان الزمن الذي ستنصفون فيه الجامعة فيما يختص بالحوادث الماضية لم يحن بعد (ثم بعد كلام طويل ورد فيه شرح الاسباب التي اوجبت على الجامعة الدخول في هذه المناظرة) هذه عبارات وجدت من واجباتي ان اعرضها على فضيلتكم

---

(١) يريد المنشور الذي لم يوزع وقد ورد ذكره في آخر المقالة السابقة في الجزء السابق

(٢) لم نرسل المنشور الى فضيلته رأساً ولكن كاتب ادارة الجامعة كتب بتوقيعه كتاباً الى سكرتير المفتي يقول له فيه ان يبلغ فضيلته المنشور حسماً للنزاع اذا كان فضيلته يروم ايقاف توزيعه على الشرط الذي تقدم ذكره. وفضيلته لم يرسل المنشور الى « فلان» لان سعادته الخ ضاحكاً بطلب نسخة منه ليقف عليه فلو أُرسل الى سعادته لما طلب من الجامعة نسخة منه

بعد تشرفي بقراءة كتابكم وانا على يقين من انكم « تحتقرون » الجامعة حقيقةً اذا لم تصدر عنها بعده . واذا كانت فضيلتكم حتى الآن لا تعتقدون بحسن نيتي من جهتكم وحرمي على ودادكم في كل ما جرى فانني اضيع وقتكم عبثاً واخطب ودادكم على غير جدوى

« اما ما تفضلتم بذكره بشأن « رسالة الاسكندرية » فانني اشكر فضلكم عليه . ولكن انكار فلان انه لا يعني الجامعة لا يمنع انه كان يقصدها لان الناس فهموا ذلك من كتابته وقد سألني ثلاثة من الاصدقاء عن ذلك عند قراءتهم الخبر في جريدة « كذا » « احدى الجرائد اليومية » وهذا من قبيل قوله حيناً بعد آخر « تلك المجلة البروتستنتية » يعني مجلة للبروتستنت يناظرها وتناظره وغرضه من ذلك ان يوهم السذج انه يقصد الجامعة وهو لا يقصدها في الحقيقة . وأرجو من فضيلتكم ان تسمحوا لي ان اقول ان اكابر المسلمين المتقدمين كانوا يجتذبون القلوب الى الاسلام بمكارم الاخلاق وحسن السيرة والسريرة . « وهذا الاسلام » الذي يتخذ الفضائل الخلقية مناراً له وكل دين يحذو هذا الحذو انما نعشقه نحن معاشر طلاب الحقيقة بالعقل دون سواه لانه انما يكون مبنياً على الطهارة القلبية المطلقة . ولكن متى خرج عنها بالافتراء والمواربة فان ذلك يكون داعياً الى تنفير الناس منه بدل اجتذابهم الى مبادئه »

فيظهر ان الاستاذ اراد ان يزيل من نفسي اثر كلمة وردت في كتابه الاول فاجاب بكتاب آخر رفع به الكلمة المقصودة ولكنه غمز ولكز بكلام غيرها وهذا كتابه بحرفه

« حضرة الفاضل

« لو احتقرتك ما كتبتُ اليك كلمةً وانك لتسيء الظن بنفسك اكثر مما يسيئه غيرك وكنت اود لو كنتَ لنفسك افضل مما انت لها اليوم ولكن اللهم عرّفنا باقدار انفسنا فذلك اللهم انفس ما تعطي وافضل ما تهب »

فاجبته بالجواب التالي

« مولانا الاستاذ

« زادت ممنونيتي لفضيلتكم بعد ان علمت من كتابكم الاخير انكم لا تريدون بالكلمة الواردة في كتابكم السابق سوءاً بهذا الداعي وهذا ما كنت انتظر من فضيلتكم ايضاحه «١»

---

(١) لما كتبت هذه العبارة ترددت في كتابتها لانها تجعل كتابه الاخير عبارة عن اعتذار

فان مولانا الاستاذ هو اليوم امير الفكر الشرقي والمفكرين . والامراء والملوك يكونون على الدوام فوق الاحراب لانهم يحسبون الجميع رعية لهم وعليهم العدل والمساواة بينهم . فاذا حدث ما يسوؤهم من احدهم كان لهم فضل تناسي ما مضى مرة واحدة وطمره لا نبشه بالعودة اليه لان نبشه يدفع كل واحد الى التمسك بحقه ليكون مستريح الضمير مع نفسه . وعندي ان الاستاذ اذا راى من بعض تلامذته ومريديه كهذا الداعي شيئاً من الاباء عن الضيم وان كان الضيم في عبارة واحدة او عبارتين فقط فانه يحق له ان يسر بذلك لما يشاهده من آثار دروسه في نفوس الناس وانتفاعهم بها . فياليت مولانا الاستاذ اوّل كتابي الماضي هذا التاويل بدل التاويل الذي ورد في كتابه

« وانني في كل حال شاكر لفضيلته عنايته والتفاته الى هذا الداعي وتشريفي بكتابيه واسأل فضيلته المعذرة لاشغالي وقته الثمين بهذا الموضوع والسلام باحترام »

ثم مرّت شهور على هذين الكتابين وظهر لنا انهما تركا في نفس فضيلته شيئاً من الاستياء لان فضيلته لم يتعوّد قط ان يقابل من احد بلهجة كهذه اللهجة . فان التمليق سائد على الاخلاق في الشرق ومتى ارتفع شخص انحنت امامه الهام ورُفعت اليه الصلاة والصيام . واذا كان كالاستاذ ممن يضرون وينفعون ويخفضون ويرفعون فانه لا يجد امامه الا قوماً يتملقون ويستجدون . ولكن الاستاذ رحمه الله كان ذا نفس كبيرة تفهم العواطف الكبيرة ولذلك كان استياؤه من الجامعة ممزوجاً على الدوام بالميل اليها تفضلاً منه وكرماً . أضف الى ذلك انه كان رحمه الله يرعى شهرته واسمه رعاية شديدة وكان يعلم ان للصحف تأثيراً شديداً في هذا الشان فكان يبذل جهده في مسالمتها واتقاء اذاها . وكنا لا نجهل عواطفه هذه فرغبة في ازالة كل اثر سيء للكتابين من نفسه اغتنمنا فرصة سنحت لاستفتائه في موضوع اسلامي اجتماعي هام فبعث فضيلته الى الجامعة بفتوى رسمية موقعة كذا (محمد عبده مفتي الديار المصرية) وسنشرح هذا الموضوع الهام ونلخص فتوى الاستاذ في الجزء التالي

مراقب الجامعة

كتب صاحب الجامعة قبل انتقاله من مصر الى نيويورك فصلاً بشأن مجلة السيدات وهذه صفحة منه

« واذا كان احد يخسر في هذا الانتقال فهو انا. ولست اريد بذلك انني افقد الوطن والاهل والخلان فقد تكلمت عن خسارتي هذه باسف وكآبة في المنشور الملحق بهذا الجزء. وانما خسارتي التي اريد ان اشير اليها هنا في صدر مجلة السيدات هي فراق شقيقتي صاحبة المجلة.

« ان بعض ذوي الصحف والالسنة المازحة الذين لا يعرفون صاحبة المجلة ضايقوها في المدة الماضية باشاراتهم تلميحاً او تصريحاً الى انني انا الذي اتولى تحرير المجلة برمتها وان صاحبتها ليس لها شيء فيها غير الاسم كما كان ذلك لبعض من تقدمنها من الكاتبات العربيات. وقد كانت هذه التهمة تؤلمها في بدء الامر ثم تعودت عليها. فنعم انا اساعد صاحبة المجلة في ترتيب المواد وتنقيحها وكتابة الفصول الموقعة بهذه العلامة *** اي ثلاثة انجم كما يعلم قارئات هذه المجلة. ولكن الذين يذكرون مساعدتي هذه لها لا يعلمون انني مديون لها بمساعدة ان لم تكن اكثر منها فمثلها. فليعلموا الآن انني لم اطبع سطراً حتى هذا اليوم في الجامعة وكتبها الا بعد ان اطلعت عليه ونظرت فيه. وكم من مرة في المناظرات الصعبة والمواقف النحيفة غيرت عزمي من شيء الى شيء. واقرب مثال لذلك منشور الجامعة الذي في هذا الجزء. فانني كتبت اولاً نصفه بطريقة غير هذه فلما اطلعت على بعضه لم يعجبها ما جاء فيه فقالت « لا ريب عندي في انك ستغيره » فضحكتُ لبراعة هذا الطلب. وفي كل يوم كانت تقول لي لحذي على تغييره « لا ريب عندي في انك ستغيره » ففي ذات يوم كان دماغي صافياً ونفسي ساكنة فقرأت المنشور فشعرت بانها مصيبة في ملاحظتها. ولكن عزة نفسي ككاتب بقيت متمسكة به. ولكي اوفق بين اقتناعي الاخير وتلك العزة الكاذبة اغتنمت ساعة استيائي من امر وكان المنشور في يدي فمزقته بغضب. وبذلك اضطررت الى كتابته مرة أخرى بخطة وافكار لا اندم عليها في المستقبل. والآن اشعر انني احسنت في ما فعلت وان الفضل في ذلك لها. وما برح هذا تأثير الجنس اللطيف علينا نحن معاشر الجنس الخشن

هذه هي الخسارة التي خسرتها الآن وان كانت وقتية. ولقد كانت تقول مازحة في

كل فرصة: ليس المراقب في بيروت فقط بل هنا مراقب ايضاً . فالجامعة الآن انتقلت الى نيويورك دون مراقبها. فعسى ان لا تكون خسارتها هذه مما يشعر به قراؤها

«ثم اني اذكر خسارة اخرى. انني لا انسى ابداً في كل حياتي لطف معاملات مشتركات المجلة. فان جميع رسائلهن الى المجلة كانت تمرُّ في يدي فاقرأُ فيها آثار الرقة واللطف واقلب نظري باسماً مسروراً بين عواطفهن وافكارهن اللذيذة (١) والطف واوقع من هذا عندي كان زيارتهن للادارة ليدفعن قيمة الاشتراك في المجلة ومباحثاتهن في مواضيعها . لا ريب في ان لهذه الصناعة التي نشتغل بها مآزق ومصاعب اكثر من كل صناعة اخرى. ولكن لها ايضاً في مقابلة ذلك من عناية ووداد الناس وخصوصاً الجنس اللطيف ما يسر ويعزي اكثر من كل صناعة غيرها»

---

(١) يظهر ان لهذه الخسارة عوضاً فان بعض سيدات نيويورك اللطيفات يزرن ادارة الجامعة فيها للاشتراك في الجامعة او في مجلة السيدات وبعضهن حتى من اميركا الجنوبية يكتبن الى مجلة السيدات ويرسلن رسائلهن بواسطة الجامعة في نيويورك وقد سرني كثيراً قول بعض سيدات نيويورك ان الجامعة تحت رعايتهن وحمايتهن . وقد جاء في الامثال : من كان النساء معه فالله معه

رسائل ومسائل

ننشر في هذا الباب الرسائل والملاحظات التي ترد على المجلة في المواضيع المفيدة ونجيب فيه عن الاسئلة الصحية والعلمية والمنزلية التي تُلقى علينا معتمدين في ذلك على المصادر الموثوق بها كل الثقة

—

داء السل ودواؤه

(نيكستون ـ اوهايو) سليمان افندي اندراوس

﴿ سؤال ﴾ ما هو داء السل وميكروبه واحسن دواء له وهل ينتقل ميكروب السل الى انسان لاكله لبن حيوان مصاب به او شربه من لبنه

﴿ الجامعة ﴾ لاحظ احد اطباء المهاجرين الافاضل كثرة داء السل بين المهاجرين وعدم معرفتهم الطرق المؤدية الى تجنبه ورد غاراته فوعد الجامعة قبل ان يردنا سؤالكم هذا بمقالة مسهبة في هذا الشان. ولا شك انه ينفعهم بها نفعاً يستحق عليه منهم كل شكر وثناء ولذلك لا نسهب في بيان حقيقة هذا الداء وطرق التوقي منه فقد قيل (اعطِ القوس باريها) واصحابنا الاطباء اولى الناس بالبحث في هذه المباحث. وفضلاً عن هذا فان صحة المهاجرين وسلامة ابدانهم مطلوبة عرفاً ان لم يكن شرعاً من اطبائهم الذين تبعوهم الى هذه الديار. والجامعة تفتح صدرها لهم لنشر كل ما يرون نشره واجباً لخدمة المهاجرين صحياً وهيجينياً. وما عرفناه من همة اطبائنا وغيرتهم على بني وطنهم في هذه البلاد يجعلنا نؤمل منهم القيام بوظيفتهم هذه خير قيام

فنكتفي اذاً الآن بان نجيبكم على سؤالكم جواباً مقتضباً فنقول

ميكروب السل منتشر في كل مكان في الشوارع والاسواق والمخازن والغبار المنتشر على الارض وفي الهواء. ذلك ان المسلولين يبصقون على الارض وتجف نفثاتهم في الغبار فتنتشر معه. ولهذا احسنت اميركا كل الاحسان بان تقدمت جميع امم الارض بتقريرها منع البصق في المركبات العمومية. وقد فرضت عقاباً شديداً على ذلك حتى اننا قرانا في سياحة احد السياح انها فرضت عقاب خمسمائة دولار على من يبصق في بعض الاماكن. ولكننا لما قدمنا الى هنا راينا انهم مع ذلك يبصقون ولا محاسب. ومما احسنت فيه ايضاً وضع

مباصق خصوصية في المخازن والمنازل والاماكن العمومية والفنادق وهي عادة حميدة جداً.
ونتذكر ان المجلس البلدي في باريز اقتدى باميركا منذ بضع سنوات فنشر اعلاناً يرجو فيه الناس ان لا يبصقوا في الشوارع. فصوَّرت احدى الجرائد الهزلية الفرنسوية الشرطي في السوق واقفاً امام احد المارين يقول له (لا تبصق هنا ياخواجا) فاجاب الرجل (واين ابصق اذاً أعلى راسك والحقيقة انه في غنى عن ان يبصق على راسه اذا كان في جيبه منديل يبصق فيه بكل ادب وبلا صوت تشمئز النفس منه

فهذا الميكروب الذي يمتزج بالغبار وينتشر معه لا يسلم منه احد منا نحن سكان المدن. وقد فحصت جثث كثيرة للذين ماتوا فوجدت ميكروبات السل في اجسامهم ولم يكونوا مصابين به. فالامر المهم اذاً ان يكون الجسم قوياً على الدوام ليتمكن من هضم هذه الميكروبات وقتلها دون ان تؤثر فيه. ولكن اذا أُضعف الجسم باي سبب كان (كالمسكرات والسهر الطويل وما وراءهما من اسرار الليل والافراط في العمل والاغتمام وغير ذلك) فالميكروب حينئذٍ يقوى على الجسم ويتمكن منه. فدارِ اذاً صحتك وتغذَّ جيداً ونم طويلاً وروّض جسمك كل يوم بالرياضة البدنية الشاقة في هواء مطلق نقي وعرّض جسمك لنور الشمس في غير ايام الحر الشديد. فهذه هي الطريقة الوحيدة لقتل الميكروب الذي يتعلق بك وانت لا تدري

اما انتقال ميكروب السل من حيوان مسلول الى انسان ياكل من لحمه ويشرب من لبنه فامر ثبت في العام الماضي بعد ان انكره الدكتور كوخ الالماني في مؤتمر الاطباء. وذلك ان طبيباً فرنسوياً لقح نفسه بميكروب السل البقري رداً على العلامة كوخ فظهرت بالحال اعراض السل فيه وكان ذلك احسن جواب لكوخ. فالحذر الحذر من البقر المسلولة لانها كثيرة والناس ياكلون لحم البقر كثيراً في هذه البلاد

اما دواء السل فبسيط جداً اذا تداركه المصاب اول اصابته . ودواؤه الراحة التامة الغذاء الجيد القوي والهواء الجاف النقي وترك كل ما يُتعب الجسم. واما الادوية والعقاقير فهي تضرُّ المصاب ولا تنفعه كما قال كثيرون من مشاهير الاطباء. وقولهم ثقة

مسألة عائلية اجتماعية

اجوبة الاقتراح
(تابع للجزء السابق)

هل يمكن ان تتخذ المرأة في العائلة صديقاً لها يعاملها وتعامله معاملة الصديق لصديقه دون ان يُخشى من خطر وقوع الحب بينهما

٦

يمكن ذلك مع الطبقة المتنورة المتمدنة العارفة ما هو التمدن الحقيقي والحرية هذا اذا كانت رابطة الحب والوداد معقودة بين الزوجين وعفة النفس وحفظ عهود الصداقة موجودتين مع ذلك الصديق . ومن الصعب عدم وقوعه بين الطبقة المنحطة التي لا تعرف من التمدن والحرية الا ظواهرها الخارجية (يعقوب نخله الحايك)

٧

المرأة لحم والرجل هرٌّ ضارٍ فلا تقربوا الهرّ من اللحم ابداً (١)

(شرقي لا يصدّق مبادىء الغرب)

---

(١) جائزة ــ عند العرب بيت بهذا المعنى وقد جعلنا جائزة قدرها خمسة ريالات اميركية لمن يبعث بهذا البيت الى الجامعة ويدل على مصدره عندهم ونرجح ان شعراء مصر قادرون على نبش هذا البيت

باب التقريظ والانتقاد

لو أردنا ان نقرظ جميع المطبوعات التي وردتنا منذ انقطاع الجامعة الى اليوم لاستغرق تقريظها جزءا بتمامه فنكتفي بجمعها والاشارة اليها في جزء تال. اما الآن فنشير الى المطبوعات التي وردتنا حديثًا بعد انتقال الجامعة الى نيويورك

☙ المقتبس ❧ كانت مجلة المقتبس اول جريدة عربية وردتنا من مصر بعد انتقالنا منها. اما باقي الجرائد اليومية والمجلات فكانت تُرسل مبادلاتها للجامعة الى الاسكندرية لبينما تقرر الجامعة عنوانها النهائي . ومجلة المقتبس التي نحن بصددها مجلة من المجلات المفيدة في مصر وهي ممتازة باطلاع صاحبها الرصيف جناب محمد افندي كردعلي على آداب العرب ومؤلفاتهم وشؤونهم وقلما يجاريه كاتب في هذا المضمار. ويلوح لنا انه لو كان الامر اليه لفضل الانصراف الى هذه المباحث في مجلته الغراء ولكنه يعلم ان المجلات في الشرق مضطرة ارضاء للقراء ان تخوض في جميع مباحث العلم والادب وان المجلات الاخصائية لا تقوم لقلة قرائها . وبذلك يخسر المقتبس قوة فيه كنا نود لو امكن ان لا يخسرها . والجامعة ترحب بالمقتبس ترحيبها بمجلة عاقلة وجودها يفيد وعدم وجودها يُفتقد. وكرصيفة تقدمته في تاريخ الصحافة ترجو ان تكثر في مصر المجلات التي على شاكلته بين اخواننا المصريين المسلمين لان المقتبس بروحه المعتدلة العاقلة التي اقام عليها في صفحاته حتى الان دلائل عديدة لجدير بان يكون مثالاً للمجلات والجرائد الاسلامية

☙ الحب المكتوم ❧ هي رواية غرامية ادبية تأليف المستر بولس لستر فور الاميركي وتعريب جناب امين افندي الغريب صاحب جريدة المهاجر وقد نشرت تباعًا في هذه الجريدة وثمن النسخة نصف ريال اميركي وتطلب من المهاجر في نيويورك

☙ ثلاث رسائل ❧ اهدى الينا جناب فيليب افندي فارس ثلاث رسائل (الاولى) ذكرى فريد وهي تتضمن التأبين والمراثي واقوال الجرائد وبعض آثار المأسوف عليه المرحوم فريد انطونيوس عوض وكان رحمه الله من الشبان السوريين الذين لو امدّ الله في حياتهم لنفعوا بني وطنهم . وقد نشرت هذا الكراس جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت تذكارًا للفقيد (والثانية) مجموعة فكاهات بقلم جناب فليكس افندي فارس اهداها

الى صديقه المرحوم فريد عوض ومما قاله في المقدمة « كتبت كثيرًا يافريد وها أنذا على منحدر قمة الصبا ارى الافق لم يزل بعيدًا امامي . ونجوم آمالي تترجرج في سماء مدلهمة يغطيها سحاب الجهل في امة ما زال فيها الالمعي غريبًا. اتخطى الصراط الوعر الى شفير الهاوية بجسد نحيل يحمل ما كتبت يمناه الى حيث يسود السكون والثالثة مغني المهاجر عن السمسار وهي رسالة تفيد المهاجرين في طريقهم من الشرق الى هذه البلاد وتحذرهم من السماسرة في الطريق

﴿ السوريون وانقاء الاعتداء ﴾ لما حدثت حوادث العدوان والنزاع المشومة بين السوريين في هذا العام (تُذكر ولا تُعاد ان شاء الله) قررت ادارة الشرطة في نيويورك منع السوريين من حمل السلاح ولم تأذن لمن طلبوا الاذن بحمله ردًا للعدوان عنهم ايًا كان . ولكن بعض كبارهم لجأوا الى طريقة قد يستغربها المقيمون خارج اميركا. فانهم بواسطة بعض من اصحاب النفوذ حصلوا على اذن من الشرطة بحمل شارة الشرطي واذن خطي لهم بالقبض على كل من يروم الاعتداء عليهم. فبعد اخذهم هذه الشارة وهذا الاذن يحق لهم ان يقبضوا كواحد من الشرطة على اي شخص رام الاعتداء عليهم وسوقه الى محل الشرطة واذا قاومهم ومانعهم بعد ان يظهروا له الشارة المذكورة والاذن الخطي حق عليه عقاب الذي يعصى الشريعة ونظام البوليس. وهو عقاب صارم في اميركا كما هو معلوم . وهذه ثقة خصوصية من الشرطة لا ينالها الا الذين لهم نفوذ خصوصي . وقد ارانا بعض معتبري السوريين هنا شارته وهو لا يزال يحملها في جيبه كلما خرج من بيته في الليل. ولكن من حسن الحظ ان آثار النزاع القديم آخذة في الزوال والامحاء بفضل عقلاء الطوائف المختلفة الذين صاروا الآن يسدون آذانهم عن كل تحريض وتحريش . وما برحت العواطف الكريمة في المهاجرين تتغلب على العواطف الرديئة. فاننا لسنا هنا الا ابناء شعب واحد ودم واحد وامة واحدة تعيسة